صالون غازى الثقافى العربى
سلسلة المبدعين العرب
الكتاب السابع

رائد التنوير

زكى نجـــيب محمود

ذكرياتى الفلسفية والأدبية مع المفكر والإنسان

د. عاطف العراقى

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

صالــون غازى الثقافى العربى

سلسلة المبدعين العرب

الكتاب السابع

رائد التنوير زكى نجيب محمود

ذكرياتى الفلسفية والأدبية مع المفكر والإنسان

د. عاطف العراقى

- رائد التنوير زكى نجيب محمود
- ذكرياتى الفلسفية والأدبية مع المفكر والإنسان
- أ.د. عاطف العراقى
- الطبعة الأولى
- ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م
- رقم الإيداع ٢٠٠٧/١٠٢٦٣
- الغلاف للمصمم معتز الرفاعى
- حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لصاحب الصالون
- دار الهانى للطباعة والنشر- القاهرة

ت ٤٤٤٤٢٠٥٥

الإهـــداء

إلى روح المفكر والعالم والإنسان

إلى النفس الشفافة المضيئة التى حاربت الظلام والخرافة بنور العقل والتنوير.....إلى أستاذى ومفكرى ورائدى زكى نجيب محمود. إنه الكل فى واحد، وإن كان أشباه المثقفين لا يعلمون.

إليه أهدى هـــذا الكتاب، وأقول مخاطبا روحه فـــى السماء اذكرينى ، فقـــد انتشر الظلـــم والشقاء بين بنى الإنسان

عاطف العراقى

٢٠٠٧/٥/١٥م

شكر وتقدير

يتوجه المؤلف بأعمق آيات الشكر والتقدير لجميع المؤسسات العلمية والثقافية التى اهتمت بفكر الأستاذ والمفكر والرائد زكى نجيب محمود فى حياته وبعد وفاته، وسواء كانت مؤسسات داخل مصر أم غيرها من بلدان العالم العربى والعالم الأوربى. لقد قدمت لى كل عون أثناء تأليف هذا الكتاب كما يتوجه المؤلف بالشكر الجزيل إلى زوجة المفكر الكبير الأستاذة الدكتورة منيرة حلمى.

على سبيل التقديم

د. غازى زين عوض الله

لقد حققت سلسلة المبدعين العرب – وهى إحدى سلاسل إصدارات الصالون المتنوعة– نجاحاً كبيراً، ولاقت صدى واسعاً بين أوساط المثقفين العرب، وذلك لأهمية هؤلاء المبدعين وتفردهم ودورهم الرائد فى حياتنا الفكرية المعاصرة وغزارة إنتاجهم من جهة ولتنوع تلك السلسلة وإحاطتها بعدد كبير من هؤلاء المبدعين من جهة ثانية، ولعمق التناول وجدية الدراسات وشمولية الاستقصاء والقدرة على قراءة أعمال أولئك المبدعين من قبل صفوة العلماء الذين تصدوا للتأليف وكتابة صفحات تلك السلسلة من جهة ثالثة.

وذلك ليس غريباً على منهج الصالون حيث إن الأصل فى تكريم المبدعين هو تكريم علمى منهجى فى المقام الأول، ولذلك نحشد عدداً من صفوة الأقلام لتناول أعمال هؤلاء المكرمين تناولاً علمياً، وتصدر بذلك كتب الصالون.. لكن هذه السلسلة تنفرد عن سلسلة كتب الصالون بأنها تتناول أعمال شخصية واحدة فقط فى كتاب مستقل.

ويحمل هذا الكتاب الذى بين أيدينا رقم سبعة من تلك السلسلة الفريدة، وهو عن فيلسوف العروبة الراحل زكى نجيب محمود (١٩٠٥–

١٩٩٣) والذى يشرفنا أيضاً أن نكرم اسمه فى احتفالية الصالون السادسة عشرة إن شاء الله تعالى.

وإذا كنا نحتفى بمفكرنا الكبير فإننا نحتفى بقيمة عطائه وثراء فكره وعظمة مشواره وغزارة إنتاجه وتنوع اهتماماته، وحاجتنا الملحة الآن إلى فكره حيث كان ينادى بالأخذ بثقافة العصر بكل ما فيها من دعوة إلى الحرية والعقل، الحرية فى العيش عيشة كريمة، والتعبير دون خوف من عوائق التفكير، ثم العقل بوصفه أساس الحضارة ، ولابد أن يصبغ الحياة كلها بصبغته الموضوعية الحيادية.. كما تصدى لمشكلة الأصالة والمعاصرة وأن المدار فى كليهما هو العمل والتطبيق وما يعاش به.. ودعا إلى قيام فلسفة عربية مقترحة تقوم أولاً على ثنائية السماء والأرض، ونادى بأن نتحول من حضارة اللفظ إلى حضارة الأداء، إلى آخر تلك الآراء التى نادى بها والتى لو أخذنا بها لكان الحال غير الحال!.

ويسعدنا أن يكون مؤلف هذا الكتاب هو الصديق الكبير الدكتور عاطف العراقى حكيم العرب والتلميذ النجيب للرائد الراحل.. فهو الأقدر على إضاءة دور أستاذه وتقديم تجربته والإحاطة بمسيرته الحافلة، وسرد ذكرياته المتعددة معه، فله الشكر مقدماً وكثيراً، ونتمنى للقارئ العزيز أن يجد فى تلك الأوراق ما يمتع عقله ويسمو بوجدانه...

د. غازى زين عوض الله

تصدير عام

غير مجدٍ فى يقينى واعتقادى إهمال الدور الرائد والحيوى الـذى قام به زكى نجيب محمود. إن الدور الذى قام به طوال حياته لا يمكننـا إهماله، إذ إن دوره فى مجال الفكر العربى لا يقل عن الدور الذى قام به أعظم المفكرين فى حياتنا الحاضرة.

لقد احتل زكى نجيب محمود مكانة كبيرة فى تاريخ الفكر العربى المعاصر. كان مفكراً من طراز ممتاز، ترك لنا العديد مـن البـصمات القوية البارزة فى مجال الفكر العربـى بفروعـه المختلفـة واتجاهاتـه المتعددة. بل إننا نراه مهتماً بمجالات فكرية أخرى لا تقل عن اهتماماتـه بالفكر العربى الحديث.. ومن بينها " التجريبية العلميـة" أو " الوضـعية المنطقية"؛ والفنون والآداب إلى آخر تلك المجالات.

فلابد أن نضع فى الاعتبار أنه من أوجب الواجبـات علينـا أن ندرس فكره، ونستمع جيداً إلى الحكم الخالدة التى تركها لنا؛ ففكر زكـى نجيب لم يكن معبراً عن الانقطاع والإهمال فى زوايا النسيان، بل كـان

معبراً عن التواصل... إن فكره يعد معبراً عن القيم الخلاقة وعن كل ما هو رفيع. إنه مفكر عربى، ولكنه كان مستفيداً من الروح الغربية.

لقد تسلح زكى نجيب بالثقافة الموسوعية الشاملة، وقبل دراسته للدكتوراه، وجمع بين الأدب والفلسفة برباط وثيق، فكان مفكرا بروح أدبية، وكان أديباً من خلال روح فلسفية، وأضاف إلى اهتماماته العلمية والفكرية بعدا فلسفياً وأدبياً.. فتح أمامنا زكى نجيب محمود كثيراً من الأبواب المغلقة والتى كانت موصدة تماماً قبل أن يكشف عنها النقاب مفكرنا الشامخ العملاق، وكان مدافعاً باستمرار عن العلم والاتجاه العلمى، عن الأخلاق والفضائل الخلقية، عن الإنجازات والتطبيقات التكنولوجية، إن هذا يتضح لنا تماماً إذا قرأنا بدقة ما كتبه فى قصة نفس، وقصة عقل، وحصاد السنين.. إن زكى نجيب محمود يبدو شامخاً كالهرم، وإذا كان كل إنجليزى لا يجهل شكسبير، وكل فرنسى يعرف تماماً فولتير، فيجب علينا كعرب أن يعرف كل منا زكى نجيب محمود، إنه البوصلة الكاشفة والضياء المستديم والشعلة الفكرية الخالدة.. نقول هذا ونحن نضع فى

الاعتبار أننا كعرب قد أصبحنا فى حالة صعود إلى الهاوية وأصبح الفكر عندنا وكأنه من الأشياء الكمالية غير الضرورية، فيجب علينا إذن أن ندرس كل كلمة كتبها زكى نجيب محمود، وكل دعوة دعانا إليها، وهل يمكن أن نقلل من كتب خالدة قامت حولها المعارك الفكرية؟!.. ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر، المنطق الوضعى، وخرافة الميتافيزيقا، ونحو فلسفة علمية، وشروق من الغرب، وجنة العبيط، إن هذا يعد فرض عين إذا أرادت أمتنا العربية لنفسها طريق التقدم.

لكن ماذا نفعل إزاء أناس عبروا عن أفكارهم من خلال مناصبهم تارة وكثرة ضجيجهم تارة أخرى، ويقينى أن زكى نجيب محمود لو كان قد عاش حياته فى البلدان الأوربية لكان الحال غير الحال، ولكن ماذا نفعل أمام أناس يريدون الارتماء فى أحضان فوائد البترول؟ ماذا نفعل لأناس تكونت ثقافتهم المزيفة من كل ما هو متصل بالخرافة والأساطير؟!! لقد درس زكى نجيب محمود كثيراً من القضايا، وخاض المعارك الأدبية والفكرية من أجل رفعة العلم وتطبيقاته التكنولوجية ومن

أجل الدفاع عن النور والتنوير، والنظر فى سخط إلى الظلام وثقافة الظلام، وخرافة الظلام وهل يمكن أن ننسى معاركه حول الأفهام الخاطئة بالنسبة للغزو الثقافى والهجوم على الحضارة الحديثة، والخلط بين الجوانب العلمية والجوانب الإنسانية؟ كلا... ثم كلا... لقد شق زكى نجيب محمود طريقه وسط الأشواك والصخور، وتسلح بروح نقدية من النادر أن نجدها فى تاريخ العرب المعاصر، فإذا كان زكى نجيب محمود قد تحققت له الشهرة ، فإنها كانت نتيجة منطقية لكفاحه الفكرى ولم تكن من منطلقات سياسية، إذ لابد أن نضع فى الاعتبار أن جزءا من شهرة طه حسين قد تحققت لأسباب سياسية، وما يقال عن طه حسين يقال أيضاً عن عباس العقاد، لم تكن شهرة زكى نجيب محمود آتية من منصب إدارى أو سياسى فالكل يعلم تماماً أن زكى نجيب محمود لم يتول فى حياته منصباً سياسياً أو منصباً إدارياً، ونحن نعلم تماماً أنه يوجد تناقض حاد بين المكانة العلمية والمنصب الإدارى، ولعل هذا ما أدى بزكى نجيب محمود إلى أن يتحدث عن " عملقة الأقزام" فالكل كان يسعى إليه لكى

يستفيد من إشعاعات فكره الخصب وثقافته الغزيرة وليس من منطلق المنصب الإدارى الذى لم يحرص عليه إطلاقاً زكى نجيب محمود طوال حياته وحتى أظلمت الدنيا فى التاسع من سبتمبر عام ١٩٩٣ حين تم الإعلان عن وفاة الهرم الشامخ والمدافع عن التنوير فى العصر الحديث زكى نجيب محمود.

كان زكى نجيب محمود قمة فى التواضع، فرغم علمه الغزير ووقوفه على هرم الثقافة العربية فى عصره إلا أنه لم يزعم لنفسه أنه يعد فيلسوفا فى الوقت الذى كنا ومازلنا نسمع عن الصغار والأقزام ومتخلفى العقول والعياذ بالله، إنهم يعدون أنفسهم فلاسفة حين يكتبون... إنهم يتحدثون عن مشروعات لهم وهى مشروعات لا تتصل بالفكر من قريب أو بعيد، مشروعات وهمية زائفة خادعة.

نعم... لم يزعم زكى نجيب محمود لنفسه أنه يعد فيلسوفا بل إنه يتحدث بإكبار وإجلال واحترام عن أساتذته وزملائه... أذكر أنه كان يتحدث أثناء لقائى به فى منزله عن عديد من الشخصيات ويركز على أن

يبين لى أثرهم فى تشكيل عقول ووجدان الأمة العربية، من أمثال رفاعة الطهطاوى وأحمد أمين، وطه حسين، والعقاد، وصديقه الصدوق توفيق الحكيم... فهل يعلم ما قاله هؤلاء الأشباه الذين أصيبوا بتضخم الأنا، والذين يكتبون فى كل شئ دون فهم من جانبهم لأى شئ.

لقد خاض زكى نجيب محمود العديد من المعارك الفكرية بعد أن تسلح بشجاعة منقطعة النظير، وأحسب أننا فى كل عام وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، نعتقد أننا سنكون محتاجين باستمرار إلى التذكير بالحكمة الخالدة التى قالها زكى نجيب محمود، إلى الكلمات الشجاعة التى صدرت عنه. سنكون فى حاجة باستمرار مهما امتد بنا الزمان أو طال، إلى التمسك بدروس زكى نجيب محمود وما أعظمها، وما أعمقها وإن كان أكثر الجاهلين فى بلادنا لا يعلمون، منهم أناس انتقلوا إلى الدار الآخرة، ومنهم فريق مازال يعيش بيننا... فريق من الأشباه والأقزام وناقصى العقل والشعور، والذين تخصصوا فى الهجوم على زكى نجيب محمود دون فحص من جانبهم لكتابات الرجل الفكرية والأدبية والثقافية على وجه العموم.

نقول ونكرر القول بأنه يعد واجبا علينا الاستفادة من دروسه فى المدارس والجامعات، وفى كل جوانب حياتنا الفكرية والثقافية، بحيث تكون أفكاره هى البوصلة والمرشد والدليل فى دستورنا الثقافى... لقد آن الأوان أن نتحدث عن أيديولوجية عربية، وبحيث تستند فى أكثر جوانبها على فكر زكى نجيب محمود الحضارى والنقدى المستنير.

كان الدكتور زكى نجيب محمود شعلة نشاط. إنه لا يكل ولا يمل. لقد حاضر بالعديد من الجامعات العربية وغير العربية. حاضر بجامعة الكويت وجامعة الإمارات العربية المتحدة وغيرها، كما حاضر بالعديد من الجامعات الأمريكية، وعمل مستشاراً ثقافياً بواشنطن. وحصل على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٦٠ عن كتابه " نحو فلسفة علمية" كما حصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧٥ وحصل أيضاً على جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وهو أول مصرى يحصل على هذه الجائزة. وحصل على الدكتوراه الفخرية من الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

ومجهودات أستاذنا زكى نجيب محمود فى مجال الترجمة والتأليف لا حصر لها ومن بين كتبه المترجمة على سبيل المثال لا

الحصر، الجزء الأول والجزء الثانى من تاريخ الفلسفة الغربية للفيلسوف الإنجليزى برتراند رسل ، والمنطق للفيلسوف الأمريكى جون ديوى، وعدة أجزاء فى قصة الحضارة للمؤرخ الأمريكى ول ديورانت. وترجماته آية فى الأمانة والدقة. إنه أفضل عربى معاصر يستطيع النقل من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية. أذكر أن نفراً من الحاضرين لندوة عباس العقاد الأسبوعية، سألوا العقاد عن أفضل من يقوم بترجمة مسرحيات شكسبير من اللغة الإنجليزية إلى العربية، فأجاب العقاد دون تردد. إنه زكى نجيب محمود. وصدق عباس العقاد فى هذا القول.

وقد اهتم رائدنا زكى نجيب محمود بمجال التأليف فى مجال الأدب والفلسفة. ومن منا لا يذكر قصة الأدب فى العالم وقصة الفلسفة اليونانية وقصة الفلسفة الحديثة وديفد هيوم وبرتراند رسل ونحو فلسفة علمية وحياة الفكر فى العالم الجديد وموقف من الميتافيزيقا والمنطق الوضعى وشروق من الغرب وجنة العبيط والثورة على الأبواب وبذور وجذور وثقافتنا فى مواجهة العصر وقشور ولباب والشرق الفنان وتجديد

الفكر العربى، والمعقول واللامعقول وقصة نفس وقصة عقل وفى حياتنا العقلية ومجتمع جديد أو الكارثة وقيم من التراث وهذا العصر وثقافته وغيرها من عشرات الكتب التى لا يستغنى عنها مثقف عربى من قريب أو من بعيد. إنها كتب رائدة خاض من خلالها كثيراً من المعارك الفكرية وكلها تدعو إلى التنوير، تدعو إلى ثقافة النور والعلم والعقل، تبدد الظلام من أمامنا ويصلح كل فصل من فصولها لأن يكون دستوراً لنا فى حياتنا الفكرية حاضرها ومستقبلها.

من أجل هذا كله كنت سعيداً حين تتلمذت وما أزال على يديه منذ السنوات الأولى بكلية الآداب. حين اشتركت معه فى العديد من الندوات الفكرية المهمة. حين أهديت له كتاباً من كتبى، وهو ثورة العقل فى الفلسفة العربية. حين أتشرف باستقباله لى فى منزله بين الحين والآخر، وحتى الأيام الأخيرة من حياته.

وإذا كان الدكتور زكى نجيب محمود يفرق بين المتخصص فى مجال من مجالات العلوم الإنسانية أو العلوم الطبيعية والكيميائية، وبين

المثقف. وإذا كان يدرك عن اقتناع دور المثقف فى المجتمع، فإنه قد طبق ذلك على نفسه . لقد خاض رائدنا العديد من المعارك الفكرية – كما قلنا– وفى بينها معركة العلمانية ومعركة الحجاب، ومعركة أخلاق القرية، ومعركة حرقة الميتافيزيقا، والأصالة والمعاصرة، والتطرف الدينى، والمناقشات البيزنطية، وحقيقة تدريس الفلسفة فى مدارسنا وجامعاتنا... إلى آخر المعارك الفكرية والتى تكشف لنا عن عقلية رائدة، عقلية مستنيرة، قل أن نجد لها نظيراً على امتداد تاريخنا الفكرى العربى المعاصر.

احتل رائدنا وأستاذنا الكبير الدكتور زكى نجيب محمود مكانة كبرى فى تاريخ الفكر العربى المعاصر إنه يعد علامة وضاءة مشرقة فى تاريخنا المعاصر ، ولا يمكن لأى دارس لهذا الفكر العربى المعاصر أن يتغافل عن الدور الرائد، الدور الحيوى البناء الذى قام به مفكرنا العملاق ورائدنا الشامخ. لقد دخل تاريخ فكرنا المعاصر من أوسع الأبواب وأرحبها. ومن واجبنا أن نهتم كل الاهتمام بدراسة أفكاره وآرائه. إنها

أفكار بناءة ، أراء شامخة ناضجة من النادر أن نجد لها مثيلاً فى عالمنا العربى المعاصر من مشرقه إلى مغربه، من محيطه إلى خليجه.

لقد اهتم مفكرنا العظيم زكى نجيب محمود بالفكر العربى على امتداد عصوره، أخلص إخلاصاً لا حد له لقضيته الكبرى، قضية الأصالة والمعاصرة،. اهتم اهتماماً بالغاً بالإسهام فى تنشيط حركة الترجمة لاعتقاده بأنه لا تنوير دون دراسة آراء الآخرين. لا تنوير إذا أغلقنا النوافذ والأبواب، بل لابد من فتح النوافذ حتى نجد الهواء المتجدد، نجد الفكر الحر الطليق. نجد الحركة لا السكون. نجد النور لا الظلام.

ولم يكن غريباً أن تهتم أكثر دول العالم بدراسة آرائه واتجاهاته الفلسفية والأدبية الكبرى. فكم من الرسائل تم إعدادها لدراسة أفكاره. كم من الكتب تم تأليفها للتعرف على أفكاره، وما أعظمها من أفكار. لقد أسهم إسهاماً كبيراً فى تنشيط الحركة النقدية. لقد أثار العديد من المعارك الفكرية. آمن بأن دور المثقف، لابد أن يكون دوراً إيجابياً لا سلبياً.

هذا هو مفكرنا العملاق أستاذا ومفكرا وأديبا. إنك لن تستطيع فهم لب فكره ولب مذهبه إلا إذا قرأت كل ما كتب سطرا سطرا بل كلمة كلمة

لقد دخل كما قلنا تاريخنا الفكرى والثقافى المعاصر من أوسع الأبواب وأرحبها لقد شق طريقه وسط الأشواك والصخور وترك لنا ثروة فكرية فلسفية أدبية غاية فى العمق، ولن يستطيع مفكر أو أديب أن يفعل أو يتغافل عن هذه الثروة التى تعد من أغنى كنوز العالم. إنها تعد كنزا فكريا أبدعه عقل مفكر جبار، إبداع قلم يعلم تماما أثر الكلمة المكتوبة وخطرها نعم إنه يعد عظيما بين العظماء. عملاقا، والعمالقة تبدد كلماتهم وأقوالهم ظلام الجهل سعيا وراء نور المعرفة ، نور العقل، نور الضياء الذى يهدينا فى حياتنا وإذا اختلف البعض حول فكره وآرائه فإن هذا الاختلاف فى حد ذاته يدلنا على أن أفكاره تعد حية وليست أفكارا ميتة، إن الأفكار الحية دون غيرها هى التى توجب الصراع حولها لأنها أفكار المسافة بينها وبين التقليد والمتابعة أكبر من المسافة أو الفرق بين الإنس والجن. إنه رائدنا ومفكرنا العظيم إنه زكى نجيب محمود الذى تعد كتاباته دعوة إلى التمسك بتيار العصر والحضارة تيار التجديد تيار العقلانية.

عار علينا كعرب إذا تغافلنا عن الدور الرائد والحيوى والخلاق والذى قام به مفكرنا الكبير زكى نجيب محمود.

لقد تضمن كتابنا الصغير مجموعة من الفصول تدور حول حياته الفكرية ونماذج من بعض آرائه وتحليلات لبعض أفكاره من خلال دراسة بعض كتبه، كما كتبنا فصلاً عن علاقتنا الفكرية بالرجل رائداً وإنساناً، وذكرنا بعض مؤلفاته.

نرجو بعد هذا كله أن نكون قد قمنا بواجبنا نحو رجل رحل عن دنيانا بجسمه، رجل نعى الدنيا وصام عن الحياة. وإذا لم يكن بالإمكان إهداء هذا الكتاب للرجل فى حياته، فإننا أهديناه إلى روحه فى عالم الخلود، عالم السماء، حين تلتقى الأرواح بالأرواح والله هو الموفق للسداد.

المؤلف

أول فبراير عام ٢٠٠٧م

(ذكرى مولد مفكرنا الراحل)

الفصل الأول

زكى نجيب محمود... الإنسان كما عرفته.

لقد كنت ومازلت أحاور نفسى قائلا: هب أننى لم ألتق بالرجل والإنسان زكى نجيب محمود. لقاء التلميذ بالأستاذ داخل قاعات الدرس بالجامعة وخارجها. فهل كنت سأصل بمفردى إلى الأفكار التى أعتقد بصوابها وأرددها كل يوم وفى كل مناسبة؟ وسرعان ما أجيب نفسى قائلا: لا. لقد وصلت أفكار معلمى زكى نجيب محمود إلى أعمق أعماق نفسى وخلجات عقلى ووجدانى وبحيث لا أتردد فى القول اليوم مؤكداً على ما قلته منذ عشرات السنين بأننى أعتقد اعتقاداً لا يخالجنى فيه أدنى شك بأن بصمات الدكتور زكى نجيب محمود على فكرى وعقلى تعد بصمات واضحة وبارزة وبحيث لابد لى من القول بأن زكى نجيب هو معلمى ورائدى، وبشرط أن يفهم ذلك فى حدود الاتفاق والاختلاف بيننا.

إننى أشهد أن الرجل قام بصياغة عقلى صياغة جديدة تماماً. لقد عشت فى الريف سنوات طوال وكنت أعتقد بوجود الأشباح والعفاريت بين المقابر، وكنت أخشى المرور بينها وخاصة أثناء الليل. وحين بدأ الدكتور زكى نجيب محاضراته أدركت أننى كنت أعيش فى وهم كبير وبدأت الدخول فى عالم جديد تماماً، إنه العالم العلمى. العالم القائم على التجربة وعلى العقل. وليس العالم الذى كنت أعيش فيه، عالم الأشباح والعفاريت.

كنت أحاور الرائد والمعلم داخل قاعات الدرس حتى تكشفت أمامى مجالات جديدة تماماً لم أكن أعرف عنها شيئاً. ولم يكن الرجل يضيق بحوارى وقد تعلمت منه فن الحوار. الحوار الهادئ الذى يستند إلى العلم والمعرفة ولا يعتمد على الخطابة والبلاغة والإنشاء. لم تصدر عن الرجل المعلم والإنسان كلمة نابية واحدة، بل كان الحوار يستند إلى مجموعة من افتراض الفروض ثم التوصل إلى مجموعة من النتائج التى تعد بالغة الأهمية. والتى ظلت حتى اليوم محفورة فى عقلى ووجدانى.

نعم إننى تعلمت منه أنه لابد من وجود أرضية مشتركة كأساس للحوار، وإلا ستكون كمن يتكلم على موجة غير الموجة التى يتحدث عليها الآخر. وإذا اختلفت الموجة فإن الحوار لن يكون مثمراً، بل سيكون كحوار الطرشان، والذين لا يسمع الواحد منهم ما يقوله الآخر.

ولم يكن وقت الدرس الجامعى كافياً للحوار مع الرائد والمعلم زكى نجيب محمود. والاستزادة من علمه الذى وجدته بحراً على بحر. فوجدت أنه من الضرورى أن أسعى إلى اللقاء بالرجل خارج قاعات الدرس وعلى وجه الخصوص فى منزله.

وقد سعدت بذلك سعادة بلا حدود. سعادة قصوى. وكنت أقول لنفسى لقد تحقق أقصى ما أتمناه أن ألتقى بالمنارة العلمية الشاهقة الارتفاع. [١]

---

(١) يمكن الرجوع إلى كتابنا الذى أشرفنا عليه وقمنا بالتصدير له عن زكى نجيب محمود (دار الوفاء- الإسكندرية)

وراجع الحوار الذى أجرته معى الأستاذة سلوى العنانى ونشر بجريدة الأهرام بالقاهرة

ولم تنقطع الصلة العلمية بينى وبين أستاذى رغم عملى فترة من الزمان خارج القاهرة وبين الوجه البحرى والوجه القبلى لقد كانت الصلة العلمية تتمثل فى صور عديدة من بينها قراءة كل ما يكتبه زكى نجيب من الكتب والمقالات وكنت أرى أنها خير ما يهدى الإنسان فى حياته. الإنسان فى كل زمان وكل مكان. إذ إنها صادرة عن عقل مبدع ومعبرة عن ذكاء بغير حدود.

وبعد عملى بالجامعة أصبح الطريق ممهداً تماماً لأن ألتقى بالرجل وأجد لديه الإجابة عن العديد من الأسئلة والقضايا المثارة والتى كنت أطرحها على نفسى وأجد نفسى عاجزاً عن الإجابة عليها بسبب الضباب الذى يحيط بأكثر الآراء والتى يحسبها الإنسان الإجابة المقنعة عما يدور فى ذهنه من تساؤلات فى الوقت الذى قد تكون فيه بعيدة تماماً عن الصواب. أبعد من المسافة بين الجن والإنس. أو بين القطب الشمالى والقطب الجنوبى أو بين المشرق والمغرب.

لقد وضع الرجل الإنسان الدكتور زكى نجيب محمود يدى على الطريق أو المنهج الذى على أساسه أستطيع الوصول إلى بر الأمان.

أستطيع التوصل بمقتضاه إلى الرأى الصائب وسط ضجيج الشهرة والطبل الأجوف.

كنت سعيداً حين وجدت أنه من الضرورى والواجب على أن أهدى إليه مؤلفاً من مؤلفاتى. وهو كتاب ثورة العقل فى الفلسفة العربية. ونظراً لأن زكى نجيب محمود يمثل خير تمثيل دور الأستاذ وكما ينبغى أن يكون الأستاذ، فإنه كان فى قمة السعادة حين علم بأن هذا الكتاب. كتاب ثورة العقل. كان من أكثر الكتب انتشاراً بين القراء والمثقفين وبحيث تكررت طبعاته فى أوقات متقاربة. بل كان أكثر منى سعادة.. ألم أقل نكم أيها القراء الأعزاء بأن زكى نجيب محمود هو الرائد والأستاذ الذى أدين له بالفضل طوال حياتى وحتى يرث الله الأرض ومن عليها وإلى أبد الآبدين.

تعلمت من زكى نجيب محمود فى حوارى معه بمنزله ومن خلال قراءتى لأفكاره فى كتبه وما أعظمها وما أروعها، العديد من الدروس من بينها رعاية الأستاذ لتلميذه. إن عطاء زكى نجيب لى يعد عطاء بغير حدود. وقيامه بتشجيعى يقف الإنسان أمامه فى انبهار وإعجاب. فالصلة

بينى وبين أستاذى لم تنقطع يوما واحداً وكم كان يطلب منه الكتابة فى بعض الموضوعات وترشيح من يراه مناسبا للكتابة. فكان لا يتردد فى نصح من يطلبون منه ذلك. أن يبادروا بالاتصال بى للكتابة وأخذ الرأى حول هذا الموضوع أو ذاك من الموضوعات التى تتعلق بقضايانا الفكرية والثقافية وما أكثرها وكنت أقول لنفسى وأذكر له أيضا فى لقائى به بمنزله. إن هذا يعد بالنسبة لى شرفا لا أستحقه. فأين علمى من علمه. أين فكرى من فكره. وكم كان يقول عنى إننى أعد امتداداً لفكره ومنهجه. كما كان يقول إن بعض ما أقدمه يذكره بما كان يفعله فى شبابه.

فهل نجد الآن فى مصر أستاذاً يفعل مثلما فعل زكى نجيب فى مجال العلاقة بين الأستاذ والتلميذ. نعم كان يقوم بتشجيعى وفتح الأبواب أمامى ولكنه لم يكن يتردد فى توجيه النقد إذا أدرك أنه يعد ضرورياً لتوجيهى وتعديل مسارى. قدمت له فى بداية عملى بالبحث الجامعى وكنت يومها طالباً من طلابه. بحثا عن الواحدية المحايدة عند سبينوزا ووليم جيمس وبرتراند رسل. فقرأ البحث كلمة كلمة وكتب على البحث قائلا: سياقك واضح يدل على فهمك للموضوع ولكن كان ينبغى أن تذكر

المراجع عند كل صفحة. وكنت من جانبى سعيداً غاية السعادة لإعجابه بالبحث من جهة. واهتمامه بتوجيه النقد إلىّ من جهة أخرى.

وقد أدركت من خلاله أهمية القراءة. والقراءة الواعية المستمرة ومن المؤسف له أننا نعيش الآن وسط أشباه يكتبون أكثر مما يقرأون. لقد تعلمت منه أن الإنسان ينبغى أن يقرأ أكثر مما يكتب. وهذا درس من الدروس العظيمة ينبغى أن ينظر إليه أبناؤنا بعين الاعتبار. فمن يتأمل فى الإنتاج الفكرى الذى يصدر عن مطابعنا فى الزمن الذى نعيش فيه. يدرك تمام الإدراك أن أكثره لا يستحق أن يقف عنده الإنسان. وحينما كان يطلب منى إبداء الرأى حول كتاب من الكتب كنت أتذكر باستمرار دروس زكى نجيب محمود والتى تتبلور حول أمانة الكلمة وخطورة الكلمة المطبوعة. وبعد قراءتى لأكثر ما يصدر عن مطابعنا العربية كنت أقول لنفسى: إلى الجحيم وصناديق القمامة أيتها الكتب التافهة وبئس المصير.

وقد تعلمت من زكى نجيب محمود أهمية أن يكون الإنسان متسلحاً بالشجاعة الفكرية. أهمية أن يكون الإنسان مثقفاً. وأن التخصص فى علم من العلوم لا يعنى بالضرورة أن يكون صاحبه مثقفاً. فالمواطن

الحقيقى هو من يضيف إلى تخصصه، اهتماماً بالمعرفة الإنسانية الشاملة من آداب وفنون وقضايا ثقافية وجمالية. أدركت من خلاله ضـــرورة أن يكون لكل فرد منا موقفه. وأنه لابد أن يبادر بإعلان رأيه والدفاع عنـــه، دون السخرية من آراء الآخرين. نعم تعلمت منه ذلك لأننى أدرك تمامـــاً أن رائدنا زكى نجيب قد خاض العديد من المعارك الفكرية [١] والتى تعد على درجة كبيرة من الأهمية. لم تكن تلك المعارك من نوع المعارك التى تثار الآن. المعارك المفتعلة والتى تكشف عن درجة كبيرة من التخلـــف العقلى ونقص فى الذكاء بل إنها كانت معارك تحتل درجة كبيـــرة مـــن الأهمية وستظل أهميتها باقية أبد الدهور وبحيث نقول إننـــا لا نتـــصور تاريخا فكريا لمصر المعاصرة إلا إذا قمنا بتسجيل كل أقوال زكى نجيب حول تلك المعارك الفكرية. فما أعظمها وما أروعها.

---

(١) رحل زكى نجيب عن عالمنا قبل تقديمى لمحكمة جنايات المنصورة فى الخـــامس عشر من شهر مايو عام ١٩٩٥. وكنت أول أستاذ للفلسفة فى تاريخ مصر يستم تقديمه فى قضايا فكرية أمام محاكم الجنايات.

لقد أدركت من خلال الدروس التى تعلمتها من زكى نجيب محمود أهمية الاستفادة من الندوات الفكرية وعلى رأسها ندوة عباس محمود العقاد وخاصة أننى أعلم مقدار الحب الذى يكنه زكى نجيب للعقاد. لم أتخلف عن حضور ندوة من ندوات العقاد إلا فى بعض الحالات القليلة. ومن المؤسف له أن أكثر من يتحدثون عن العقاد وندوته الفكرية الأسبوعية. كان من النادر أن ألقى واحداً منهم. ألا يعد هذا دليلا على الكذب الذى ساد أوساطنا الثقافية. ويشاء القدر أن أعمل بأسوان ثلاث سنوات ولم أتخلف خلالها عن حضور ندوة من ندوات العقاد والتى كانت تتم مرتين كل أسبوع طوال شهر يناير من كل عام. لقد أدركت أهمية حضور ندواته من خلال حديث زكى نجيب محمود عنها.

وما يقال عن ندوة العقاد، يقال عن غيرها من المؤسسات الفكرية الأكاديمية. فإن حديث الدكتور زكى نجيب عن الأب جورج قنواتى بكل احترام وتقدير . أدركت من خلاله الدور العظيم والرائد للأب قنواتى مدير معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومينكان بالقاهرة، وكنت حريصاً

على الاستفادة من مكتبة الدير والتى تعد علـــى رأس مكتبـــات الـــشرق الأوسط من حيث الدقة والنظام وشمول المعرفة. وقد قضيت بالدير خمس سنوات تلميذاً ومتعلماً وراغباً فى القراءة المستمرة (منذ عام ١٩٦٩ حتى عام ١٩٧٤).

لقد تكشفت لى عوالم جديدة- كما قلت – من خلال صلتى العلمية المستمرة بزكى نجيب محمود. لقد أدركت من خلاله أهمية العزلة والبعد عن المناصب الإدارية الزائفة. كان ينتهى من محاضراته بالجامعة وبعد دقائق قليلة يكون داخل منزله قارئاً متأملاً. لقد أثر هذا السلوك فى نفسى حتى الآن وخاصة بعد أن أصبح الناس غير الناس، وتلاشى وجود أخيار الناس أمام جحافل الأشرار.

وأكثر مواقفى من التراث قد تعلمتها من زكى نجيـــب محمـــود. وكنت بعد قراءتى لما يكتبه أتناقش معه وأدرك بعد المناقشة أن العيـــب إذن ليس من الضرورى أن يكون فى التراث. ولكن العيـــب فـــى الفهـــم الخاطئ للتراث.

فى تراثنا مساحات مظلمة. فى تراثنا كم هائل من الخرافات تزيد عن عدد سكان الدول العربية، ولكن لا يصح أن ننكر وجود النور والتنوير داخل بعض كتب التراث، وهل يمكن أن نقلل من المساحات المضيئة عند إخوان الصفا وعند ابن رشد وعند أبى العلاء المعرى وابن الرومى والمتنبى. أليست أقوال هؤلاء أفضل ألف مرة من الكلمات المتقاطعة التى نجدها عند أناس من أشباه الكتاب والأدباء فى تاريخنا المعاصر، منهم من قضى نحبه ومنهم من لم يزل على قيد الحياة. وقد قاموا بتسويد آلاف الصفحات التى تكشف عن جهلهم الفاضح.

كنت أرجع إلى زكى نجيب محمود قبل إقدامى على القيام بأى عمل من الأعمال الفكرية، لأننى أعتقد أن زكى نجيب محمود يمثل النور والضياء، يمثل البوصلة الفكرية التى يجب أن يهتدى بها كل مشتغل بالفكر وقضاياه، بالثقافة ومشكلاتها. وحينما طلب منى إلقاء محاضرة عنه بقصر الثقافة بدمياط فى مناسبة مرور ثمانين عاماً على مولده، سعيت إلى منزله للاستفسار منه عن بعض الإشكالات التى قد تثار عن طريق أسئلة المستمعين ومن بينها علاقة الوضعية المنطقية بتجديد الفكر العربى، أكد

لى على ما كنت أعتقده من أنه لا تعارض بينهما وهذا على الخلاف من أقوال أشباه الباحثين وقد حدث ما توقعته، فقد جاءت أكثر الأسئلة حول هذه الإشكالية سواء فى محاضرتى عنه عام ١٩٨٥م، أو فى عام ١٩٨٦ أثناء حفل تكريم هذا الرائد والأستاذ العظيم بدمياط وكان حاضراً حفل التكريم، ولم تشهد دمياط فى تاريخها القديم وتاريخها الحديث، حدثاً ثقافياً، مثل الحفل الذى تم يوم تكريم هذا الرائد والأستاذ العظيم وقد سعيت إلى منزله للتهنئة بجائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بعد ذلك بأيام خاصة وأنه يعد أول مصرى يحصل على تلك الجائزة الكبرى. ولازلت أذكر قوله بأن منحه هذه الجائزة يدل تمام الدلالة على أن العروبة ثقافة قبل أن تكون سياسة.

تعلمت من زكى نجيب محمود ضرورة أن يهتم المثقف بقراءة الكتب الأدبية وكم توجد خصائص مشتركة تجمع بين الفكر الفلسفى والفكر الأدبى. نجد هذا عند القدامى أمثال المتنبى وأبى العلاء المعرى، وابن الرومى وأبى حيان التوحيدى فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، وعند كل من يمثلون أدب التفسير وليس أدب التعبير، ونجده عند المحدثين من أمثال زكى نجيب محمود وول ديورانت صاحب قصة الحضارة، وطه

حسين الرائد الأول للتنوير فى مصرنا المعاصرة وعالمنا العربى من مشرقه إلى مغربه.

وكم كان الدكتور زكى نجيب حريصاً على أن يكشف لى الفرق بين الريادة الحقيقية، والريادة الزائفة الكاذبة. إن طه حسين لم يصبح طه حسين إلا لأنه فعل واجتهد وكافح حتى أصبح طه حسين، وما فعله طه حسين، نجده عند العقاد وغيرهما من الرواد الحقيقيين. أما الآن فقد أصبحت القدوة غير القدوة. الريادة غير الريادة.. لقد أصبحت القدوة عند فتاة اليوم راقصة من الراقصات. أصبحت القدوة عند شباب اليوم لاعباً من لاعبى كرة القدم وإن هذا يعد دليلا على أننا نهتم بأرجلنا قبل أن نهتم بعقولنا. أليس هذا من نكد الزمان.

ومن أعظم العبارات التى تتعلق بالمجال الذى نتحدث عنه الآن العبارة التى ذكرها زكى نجيب فى آخر كتابه حصاد السنين [١]. إنها عبارة يجب أن نقف عندها ونتأمل فى كل كلمة من كلماتها. يقول زكى نجيب محمود (ص ٤٢٤-٤٢٥): إن عندنا وعند أمثالنا ممن ضحلت معلوماتهم الصحيحة، فقل وعيهم بنفس المقدار، تكثر عملقة الأقزام، إذ

(١) نرجو الرجوع إلى تحليلنا النقدى للكتاب فى فصل من فصول هذا الكتاب

ليس على القزم الطموح برغم جهله وقصوره إلا أن يستخدم وسائل الإعلام لصالحه، فما أسرع ما يتحول فى خيال الجماهير وفى وهم الحاكمين إلى عملاق حتى يتحول إلى أن يكون عالماً بغير علم ، أديباً بلا أدب، أى شئ بغير شئ. وتتصل بعملقة الأقزام عملية أخرى قد تستوجبها الظروف فيلجأ إليها القزم الطموح. وهى عملية يجوز تسميتها كما أسماها صاحبنا ذات يوم فيما كتب." قرصنة فى بحر الثقافة". فالقراصنة يخطفون أموال ضحاياهم وبضائعهم لتصبح ملكاً لهم، وكذلك يفعل قراصنة الثقافة فى حياتنا . فليس المهم عند أحدهم أن يقوم هو بالعمل ، بل المهم هو أن يضع عليه اسمه اغتصاباً.

أذكر أننى تحدثت مع معلمى زكى نجيب طويلا حول هذه العبارة وكم ذكرت له مجموعة من الأسماء المشهورة والذين يدخلون فى مجال القرصنة، ولا أجد داعياً الآن لتحديد أسمائهم أو الإشارة إليهم. كنت أتحدث مع زكى نجيب عن الأساليب الملتوية والتى من خلالها يحاول أشباه المثقفين ، التأكيد للجمهور بأنهم من المثقفين، وذلك على الرغم من عدم وجود صلة بينهم وبين الثقافة من قريب أو من بعيد، فالثقافة منهم

براء. كنت أتحدث معه عن ضرورة وجود محاكم للغش الفكرى، وكأن بطوننا ومظهرها الخارجى أهم لدينا نحن العرب، من عقولنا وفكرنا ووجداننا.

نعم لقد استفدت من زكى نجيب استفادة بغير حدود. استفدت منه مجموعة من الآراء حول قضية الأصالة والمعاصرة، وأعتقد- تأكيداً على ما قاله توفيق الحكيم – بأننا لا نجد فى تاريخنا الفكرى المعاصر من اهتم بهذه القضية قدر اهتمام زكى نجيب. لقد كان من المفروض أن نتبنى أفكار الرجل ونخلص كل الإخلاص فى دراستها، لأنها على رأس قضايانا الفكرية وتعد من أهم مطالبنا الفكرية. ولكننا للأسف الشديد لم نفعل ذلك لأننا نعيش – كما قال توفيق الحكيم فى تحيته التى وجهها إلى زكى نجيب فى عيد ميلاده الثمانين- فى مجتمع الصراصير التى تتقاتل مع بعضها البعض ، وليس فى مجتمع النمل الذى تتعاون فيه كل نملة مع الأخرى.. تعلمت من زكى نجيب ألا أكتب إلا ما أعتقده، لا أتحدث إلا عن إيمان من جانبى بما أراه صواباً. فأين نحن الآن من دروس زكى نجيب، وقد تحول

أكثرنا إلى تجنيد قلمه لترسيخ التخلف الفكرى.. لقد أصبحت مساحة الفكر التقليدى الرجعى والذى يمثل اللامعقول. أضعاف أضعاف مساحة الفكر التقدمى المستنير. أصبحت الكتابة عن الفكر الرجعى التقليدى تدر على أصحابها آلاف الدولارات، وهذا على العكس تماماً من الكتابة عن أصحاب الفكر المستنير.

لم يتقلد زكى نجيب محمود طوال حياته منصباً من المناصب. وأقول إنه كان على حق تماماً، إذ نجد التعارض التام بين أمور المنصب والإدارة ، وبين الاهتمام بالفكر وقضاياه. ولن نجد فى تاريخنا المعاصر مفكراً من المفكرين استطاع أن يجمع بدقة وتفان وإخلاص بين المنصب والجوانب الفكرية. لقد تعلمت ذلك من زكى نجيب محمود.

نعم لقد استمرت المناقشات بيننا سنوات طوال زادت بكثير عن ربع قرن من الزمان وأقول بأننى لا أتصور مثقفاً إلا وأن يقرأ كل ما كتب زكى نجيب.. إنه هرم ثقافتنا العربية.. ومن المنطقى أن نجد العديد من الكتب والرسائل التى تهتم بفكره الثاقب وآرائه الناضجة، وبعضها

كان ومازال تحت إشرافى فى أكثر من جامعة من الجامعات المصرية. [١] من المنطقى أن تدور مناهج الفكر العربى الحديث حول زكى نجيب وآراء زكى نجيب. لأنه دخل تاريخنا الفكرى من أوسع الأبواب وأرحبها. لقد اعتز بمصر وأخلص لها إخلاصاً بغير حدود. وكم كان حريصاً على أن يكشف لى أننا إذا وجدنا مجلة عربية تصدر فى هذه البلد أو تلك. فإن مصريتها تتمثل فى كون أكثر كتابها من المصريين.

كان النقاش بيننا مستمراً فى الصباح وفى المساء وكم اتفقنا فى أكثر الآراء واختلفنا فى قلة قليلة منها. اتفقنا حول كل آرائه فى القضايا الكبرى كقضية الغزو الثقافى وأنها قضية زائفة. وقضية التقدم العلمى والأخلاق. وقضية موقفنا من الغرب، كل هذه القضايا اتفقت مع أستاذى فى كل رأى قاله حولها. واختلفنا حول بعض الجزئيات ومنها دور بعض الأعلام القدامى، فإذا كشف عن أهمية أبى حامد الغزالى فى مجال من المجالات، فإننى أقول إن الغزالى يقف على قمة عصر الرجعية ، لأنه حارب الفلسفة والفلاسفة. اختلفنا حول موضوع ترجمة الكتب الطبية

(١) أشرنا إلى بعضها فى قائمة المراجع.

والتدريس بالعربية وكان يرى بأنه من الضرورى ترجمة الكتب الطبية ويقدم الحجج الدقيقة على مشروعية هذا العمل وأهميته.وكنت أقول بأنه من الضرورى أن يتم تدريس الطب باللغات الأجنبية حتى لا نجد قصوراً فى معلومات الطلاب، إذ إن الطب لا يتقدم حالياً إلا فى البلدان الأوروبية وإذا وجدنا بلداناً عربية تقوم بتدريس الطب بالعربية، فإنه ليس من الضرورى أن نجد إنجازات طبية لها أو أى نوع من الاختراعات أو الاكتشافات العلمية الطبية.

نعم كان يتحدث عن طلابه أكثر من الحديث عن فكره الخالد. وهل أنسى ما قاله عنى فى أكثر من برنامج من البرامج الإذاعية والتليفزيونية. هل أنسى ما كتبه عنى. وكل سطر من سطور خطاباته يعد درة من درر أدبنا الرفيع. هل أنسى استقباله الحافل لكتبى التى قمت بتأليفها والتى قمت بالإشراف على بعضها. ويوم صدر الكتاب التذكارى تحت إشرافى عن مؤرخ الفلسفة "يوسف كرم" والذى ظلم حياً وظلم ميتاً، احتفل بالكتاب احتفالا بغير حدود وذكر لى أنه يعد من أفضل الكتب التذكارية التى صدرت بمصر وعالمنا العربى. وهذا القول من جانبه يعد

تشجيعاً لى بغير حدود، لأن هذا الكتاب قد صدر كما قلت تحت إشـــرافى وبعد أن قام أستاذى زكى نجيب بتكليفى بهذا العمل فى فترة رئاسته للجنة الفلسفة والاجتماع بالمجلس الأعلى للثقافة.

ومن مصادفات القدر أننى فى سنوات العلم الأولى كنـــت أقـــرأ لزكى نجيب محمود: وحين حصلت على الدرجة النهائية فى الفلسفة فـــى السنة التوجيهية بمدرسة دمياط الثانوية، كانت الجائزة المخصصة لـــذلك مجموعة من الكتب من بينها كتاب آثرت الحريـــة تـــأليف كرافتـــشنكو وترجمة زكى نجيب محمود . ثم يدور الـــزمن دورتـــه وأجـــد الرجـــل الإنسان. أجد زكى نجيب محمود يدخل علينا قاعة من قاعـــات الـــدرس بآداب القاهرة ليلقى علينا أول محاضرة من محاضراته على طلاب هـــذه السنة.

وإذ كنت قد كتبت مئات الصفحات عن فكر وفلسفة الرائد العظيم زكى نجيب وعن كتبه. فقد وجدت اليوم واجباً على أن أكتب عن زكـــى نجيب الإنسان من خلال علاقتى به، علاقة التلميذ بالأستاذ والابن بالأب الفكرى . وأقول دوماً بأننى أفخر أننى عشت فى عـــصر زكـــى نجيـــب

محمود. إن هذا من نعم الزمان ومن أسعد الأشياء التى ستظل محفورة فى ذاكرتى طوال رحلة العمر.

غير مجدٍ فى يقينى واعتقادى إغفال الأفكار الرائدة والبناءة التى غرسها فينا نحن العرب مفكرنا الشامخ زكى نجيب محمود، وخاصة فى مجال الفكر النقدى. إنها أفكار تؤدى بنا إلى الأمام سعياً نحو النور والتنوير. وليست من قبيل الأفكار التى تؤدى بنا إلى الصعود إلى الهاوية وبحيث نعيش فى الظلام والضياع، الأفكار التى يحاول الترويج لها أشباه المثقفين.

إن الحس النقدى يعد بارزاً فى دراسته لمشكلة الأصالة والمعاصرة وكان ملازماً له طوال حياته الفكرية . لقد استغرق منه البحث فى قضايا التراث من خلال رؤية نقدية أكثر من أربعين عاماً لقد أكد لى فى لقاء تم بيننا عام ١٩٨٥ بمنزله ونحن نستعد من جانبنا للاحتفال بمرور ثمانين عاماً على مولده، على ما سبق أن ذكره فى كتابه "قصة عقل": لقد قال لى إن تفكيره فى المزج بين الثقافة العربية والثقافة الغربية قد بدأ فى عام ١٩٥٦ ثم صاغ الفكرة فى عام ١٩٦٠ وذلك فى كتاب

الشرق الفنان [١] إن هذا الكتاب يعد خطة تفكير. أى خطة بحث فى المشكلة التى وهب زكى نجيب لها عمره. كما ذكر ذلك بحق على صفحات جريدة الأهرام عملاق الأدب العربى توفيق الحكيم، ونعنى بها مشكلة الأصالة والمعاصرة وما يدور حولها من أسس نقدية. ومن البحث فى كيفية تجديد الفكر العربى والبحث فى أفضل الصيغ والحلول المناسبة لمشكلات هذا الفكر، والبحث أيضاً فى كيفية مواكبة تيار العصر، تيار الحضارة، الحضارة الغربية على وجه الخصوص صنع الدكتور زكى نجيب محاور قضاياه الرئيسة.

نقول ونكرر القول، إننا نجد أخطاء فاضحة وشنيعة عند من يقولون بأننا نجد تناقضاً بين مرحلة أولى عند زكى نجيب ، ومرحلة ثانية، مرحلة الوضعية المنطقية والتجريبية العلمية. ومرحلة الاهتمام بالفكر العربى. كلا يا سادة. إذ لا يمكن الحديث عن الفكر العربى عند زكى نجيب إلا إذا وضعنا فى اعتبارنا. أنه أقامه على إيمانه بالوضعية

---

(١) ذكر لى زكى نجيب محمود أن توفيق الحكيم أبدى إعجابه الشديد بهذا الكتاب رغم صغر حجمه نسبياً.

المنطقية وبحيث كانت لـــديه منهجاً وليس مذهباً. إن هـــؤلاء الأشـــباه والأنصاف من الدارسين لم يضعوا فـــى اعتبارهم اهتمامه بالكتابة عـــن "جابر بن حيان" فى مرحلة مبكرة نسبياً. نعم وقعوا فى أخطاء شنيعة حين قالوا بالمرحلتين لأنهم تعودوا على الكتابة فى كل شئ، دون فهـــم مـــن جانبهم لأى شى وبحيث كانت كتاباتهم العرجاء تعد جهلاً على جهل. وإن كان أكثرهم لا يعلمون.

أذكر للتاريخ أن مفكرنا الكبير قد ذكر لى فى لقاء تم بيننـــا قبـــل وفاته بقليل. أنه لا تعارض بين إيمانه بالوضعية المنطقيـــة. ودراســـاته النقدية فى مجال تجديد الفكر العربى. بل نقول إن استفادة زكى نجيب من الوضعية المنطقية قد هيأت له وســـاعدته حـــين ميـــز بـــين المعقـــول واللامعقول. ونحن نعلم أن هذا التمييز من جانبه إنما قام بالدرجة الأولى على الحس النقدى لديه. تماماً كما فعل ابن رشد آخر فلاسفة العرب حين ميز بين الفكر الخطابى التقليدى. والفكر البرهانى الفلسفى علـــى أســـاس إيمانه بالتأويل.

وكأن تاريخ الفكر أيها السادة القراء يعيد نفسه. فإذا كان الصغار من أشباه الأساتذة قد حاولوا وصف ابن رشد بأنه سلفى تارة أو أشعرى تارة أخرى فإننا نجد أقزام الباحثين يقولون بوجود مرحلة ثم مرحلة أخرى تناقضها عند زكى نجيب محمود.

إننى أذكر ابن رشد على وجه الخصوص لأنه يرتبط بذكرى معينة خاصة بلقاء لى مع زكى نجيب محمود. فإذا كان مفكرنا زكى نجيب لم يعتمد على ابن رشد حين ألف كتابه "تجديد الفكر العربى"، إلا أنه كان يقدر آخر الفلاسفة "ابن رشد" تقديراً كبيراً. ولم يتردد فى قبول مراجعة كتاب لى صغير عن ابن رشد كلفتنى به المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم منذ أكثر من ربع قرن من الزمان وقد صدر هذا الكتيب فى مناسبة استعداد الجزائر للاحتفال بمرور ثمانية قرون هجرية على وفاة العملاق الشامخ ابن رشد، وأعترف أن زكى نجيب قد قدم لى العديد من الملاحظات البناءة منذ أن شرعت فى تأليف هذا الكتب وإلى أن صدر عام ١٩٧٨م. وذلك رغم طول اشتغالى بفلسفة ابن رشد.

نعم إن الحس النقدى عند زكى نجيب يعد بارزاً غايـــة البـــروز. ونحن نعلم أن النقد يعد أبرز خصائص الفلسفة والتفلسف. فإذا كان زكى نجيب قد التزم طوال حياته بهذا الحس النقدى. فإنه من الواجـــب علينـــا وضع الرجل فى منزلة كبرى تماماً كما ننظر إلى طه حـــسين والعقـــاد وتوفيق الحكيم والأب جورج قنواتى. واجب علينا دراسة مؤلفاته وتحليل أفكاره. وأنا على يقين من أننا سنجد فيها كعرب الفائدة كل الفائدة. نعـــم لابد من إعادة تحليل أفكاره.

خاض زكى نجيب العديد من المعارك الفكرية من منطلق إيمانـــه بأهمية النقد لقد دافع من خلال معاركه عن فكر الغرب. وحضارة الغرب التى قدمت للإنسانية الكثير من الإنجازات الضخمة والبناءة. وكان يـــرى أن المتأخر لابد أن يلحق بالمتقدم. وبحيث لا يصح أن نطلب من المتقـــدم أن يقف فى مكانه حتى يلحق به المتأخر. كان يرى أهمية النظـــر إلـــى الأمام.. النظر إلى المستقبل. وإذا كان الله قد خلق أعيننـــا فـــى مقدمـــة رؤوسنا، فكأنه قد طلب منا النظرة التقدمية. وليـــست النظـــرة للرجعيـــة والعياذ بالله.

لم يرتض لنفسه موقف الذين يخلطون بين الدين والسياسة، وبحيث يقومون بالإساءة للدين تارة والسياسة تارة أخرى. ونعنى به موقف الاتجاه الأصولى.

لم يخلط بين الدين والعلم. فالدين ثابت والعلم متغير. ولا يمكن أن نلحق الثابت بالمتغير ونحسب أن هذا الموقف من جانب زكى نجيب يعد صائبا غاية الصواب. إنه موقف يتفق مع الاتجاه العقلى، وهو الموقف الذى نجده عند طه حسين فى أعظم كتبه" من بعيد"، وعند توفيق الطويل فى كتابه " التنبؤ بالغيب". وأيضاً عند فؤاد زكريا فى العديد من كتبه.

دافع مفكرنا الكبير زكى نجيب من خلال العديد من كتبه عن العقل والمعقول. وقد وجدت من واجبى حين انتهيت من كتابى "ثورة العقل فى الفلسفة العربية"، أن أقوم كما قلت منذ قليل بإهدائه إلى زكى نجيب، وكان ذلك منذ أكثر من ربع قرن من الزمان. وكان حريصاً على الربط بين الاتجاه العلمى والاتجاه العقلى. إنه يقول فى أول سطر خطه فى واحد من أهم كتبه: أنا مؤمن بالعلم..الخ.

ولم يكن زكى نجيب محمود مجرد مـــردد لآراء هـــؤلاء الـــذين يفخرون بالعلوم عن العرب. إنه يعلم أن علوم العرب تعد وصفية كيفية لم تتمخض عنها إنجازات تذكر . أما العلم الدقيق فينبغى أن يكـــون كمـــاً ، وكماً فقط. وهذا ما نجده فى العلم الحديث.

وأحسب أن هذه الفكرة الصائبة من جانب زكى نجيب إنما تعـــد نوعاً من التأثر بما ذهب إليه طه حسين فى كتابه " من بعيد" والذى رأى أن الويل للأمة العربية حين تلجأ إلى كتاب القانون فى الطب لابن سينا أو تذكرة داود وبحيث تجعل هذه الكتب وغيرها مراجعها فى علم الطب!!.

إن القارئ لأفكار زكى نجيب النقدية. لابد وأن يدرك الجهد الكبير الذى بذله. إنه صاحب رؤية متميزة. رؤية تصدر عن ذكاء ثاقب، وعقلية من النادر أن نجد مثيلا لها.إنه لا يقرأ التراث كقراءة الأشباه وأنـــصاف المثقفين الذين يتاجرون بالتراث وينشرون الظلام فى أرجاء الـــدنيا. بـــل يقرأ التراث قراءة نقدية. ولا نمل من جانبنا فى أن نقول إننا قد نجد فـــى كتب التراث كماً هائلاً من الخرافات ... يقول زكى نجيـــب فـــى كتابـــه الرائع "قصة عقل": "لقد قرأت ما قرأته (من التراث العربى) ليكون حكمى

عليه قائماً على معايير عصرنا نحن من حيث انتفاع الناس بـــه أو عـــدم انتفاعهم".

لقد مات زكى نجيب ولكن أفكاره ستظل إلى أبـــد الآبـــدين فـــى عقولنا ومشاعرنا ووجداننا. إنها أفكار حية عظيمة رائعة صـــدرت عـــن إنسان آمن بربه وآمن بوطنه وأحسب أن روح زكى نجيب محمود تحلق الآن فى سعادة حين تعلم أن أفكار صاحبها قد قدر لها الخلود فتحية له من تلميذ له مازال يعيش فى عالم الفساد والزوال. وإلـــى أن تلتقـــى الأرواح بالأرواح فى عالم الخلود كل الدعاء والتحية لك يا أيها الأســـتاذ العظـــيم زكى نجيب محمود.

نعم لقد عرفت الرجل عن قرب واتفقت معه تارة واختلفت معـــه تارة أخرى. ولقد كان سعيداً بالاتفاق والاختلاف بيننا. ولم لا؟ وهو مفكر رائد، كما كان سعيداً بإشارة توفيق الحكيم بدراستى عن زكى نجيب والتى ألقيتها فى محاضرة مطولة بدمياط، ثم نشرت بالأهرام الدولى.

وقد كنت طوال حياتى حريصاً على إحياء أفكار زكـــى نجيـــب محمود رغم اختلافى – كما قلت– معه حول بعضها وعلى النحو الـــذى

أشرت إليه منذ قليل. كتبت عنه فى العديد من كتبى. ومن النادر أن نجد كتاباً من كتبى يخلو من الحديث عن زكى نجيب محمود وفكره الأدبى والفلسفى. لم أقم بذلك من منطلق إشادته بى فى كثير من المناسبات الفكرية والثقافة، وقوله بأننى أعد استمراراً له (١).

كما كنت حريصاً على إصدار مجلد تذكارى ضخم عنه، وقد صدر المجلد منذ عدة سنوات وبعد رحيله عن دنيانا.. كما كتبت عنه فى الكتابين التذكاريين وقد صدر واحد منهما قبل وفاته (جامعة الكويت) والآخر بعد وفاته (المجلس الأعلى للثقافة).

وقد يعد المجلد التذكارى الذى صدر تحت إشرافنا أكثر شمولاً من المجلدين المشار إليهما، إذ نجد بهما عيباً جوهرياً كان لا يصح الوقوع فيه وهو وجود عدد من الدراسات المهداة إليه، وليست عن فكره. وقد تعجبت وأسفت لذلك لأن أفكار زكى نجيب محمود تعد بالغة الثراء والتنوع والتشعب من خلال آلاف الصفحات التى تركها لنا وكتبها طوال أكثر من نصف قرن من الزمان.

---

(١) يمكن الرجوع إلى الحوار الذى نشر بآخر ساعة قبل وفاته بعدة سنوات، وقامت بإجراء الحوار معه الصحفية الأستاذة وفاء الشيشينى.

ويكفى أن نقول للتدليل على ذلك إن المجلد الذى كان تحت إشرافنا جمع عدة محاور وموضوعات من بينها وعلى سبيل المثال لا الحصر، من صميم حياته، والسياسة والمعارك الفكرية، والمضمون السياسى فى فكره، والدعائم الأخلاقية للدولة عند زكى نجيب محمود، وإشكالية الأصالة والمعاصرة عنده، ومنهجه فى نقد اللامعقول من التراث، ودور اللغة فى تجديد الفكر العربى عند زكى نجيب، والإطار العلمى لتجديد الفكر العربى من منظوره، الشخصية المصرية عند زكى نجيب، وخصائص الفكر العربى المعاصر عنده، والعقل والوجدان عنده، وموقفه من التصوف، وفلسفته الجمالية، والدلالات الأخلاقية فى فكره، والجانب الأدبى عنده، والتجريبية العلمية عنده، والاتجاه العلمى وموقفه من الميتافيزيقا ، هذا كله بالإضافة إلى تحليلات نقدية للعديد من كتبه ومن بينها قيم من التراث، والمعقول واللامعقول،... الخ.

هذا كله يعد جزءا قليلاً من واجبى نحو رجل نعتز بفكره، رجل أحب مصر والعروبة حباً جماً. وقد وجدت من جانبى أن أبادله حباً بحب، وعطاء بعطاء، وبحيث لا نكون كالقطة التى تأكل أبناءها، وأيضاً لكى نقضى على مقولة الكثيرين الآن الذين يقولون إننا جيل بلا أساتذة. إنهم – فى رأينا – جيل الصغار والأقزام والأشباه وإن كان أكثرهم لا يعلمون.

الفصل الثاني

صفحات من حياته الفكرية ونماذج من بعض آرائه التنويرية

(أول فبراير عام ١٩٠٥- التاسع من سبتمبر عام ١٩٩٣م).

إذا كنا نقول بأن هرمنا الفكرى والثقافى والأدبى، يمثله عباس العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم، فإن من الصحيح، بل من الضرورى أن نضم إلى هؤلاء الثلاثة، مفكرنا زكى نجيب محمود.

إن الدور الرائد والحيوى الذى أداه زكى نجيب محمود لا يقل بأى حال من الأحوال عن أى دور قام بأدائه أعظم المفكرين العمالقة فى أمتنا العربية قديماً وحديثا. وأن أى كلمة أو عبارة يقول بها زكى نجيب محمود ستظل محفورة فى عقل ووجدان شعوب العالم أجمعه شرقا وغربا. فإذا نطق زكى نجيب محمود، فقد نطق الحكيم. وإذا كتب، فإن كتاباته تعد تعبيرا عن منارة الفكر، عن الشعلة الخالدة، شعلة العقل الذى يعد أعظم الأشياء قسمة بين البشر.

لهذا كله لم يكن غريبا أن يلتف ملايين القراء حوله، وأن تكون كتاباته وأحاديثه مثار مناقشات وتعليقات لا حصر لها، إنها كتابات حية وليست ميتة، كتابات تعد معبرة عن تيار العصر وجوهر الحضارة كما ينبغى أن تكون الحضارة، كتابات تعد فتحا عظيما لآلاف الأفكار والآراء، كتابات ثمرة للعقل الثاقب ، كما تعد كتاباته ثمرة لاطلاعه الواسع الغزير، ثمرة لاعتقاده بأن الفكر يجب أن يكون قضية الإنسان الرئيسية وجوهر حياته.

والواقع أنه يعد من الصعب، بل من المستحيل تماما أن نعرض لجوانب فكر زكى نجيب محمود، فى دراسة واحدة، إذ إن فكره يعد ثريا غاية الثراء وعميقاً غاية العمق. ويشهد على ذلك عشرات الكتب التى قدمها لنا، ومئات الدراسات الجادة التى وضعها بين أيدينا والتى تعالج موضوعات شتى فلسفية وأدبية وفنية واجتماعية إصلاحية، ومئات المقالات التى تعد كل واحدة منها معبرة عن فكرة أو مجموعة من الأفكار يتميز بها مفكرنا الكبير ولا تعد معبرة عن نوع من المتابعة أو التقليد للآخرين. وأيضا العديد من الأحاديث الإذاعية والتليفزيونية سواء فى

مصر أو خارجها، وكم كانت تلك الكتب والدراسات والمقالات والأحاديث هادية ومرشدة لآلاف القراء والدارسين والباحثين إلى اكتشاف عوالم جديدة لم يكن بإمكانهم اكتشافها ولا التوصل إليها، بل الاقتراب من حدودها ومعالمها وأبعادها ومجالاتها إلا بفضل زكى نجيب محمود. وعظمة زكى نجيب محمود وذكائه الخارق النافذ إلى أعمق أعماق وجودنا الفكرى والثقافى وذلك عن طريق التأمل العميق والتحليل الذى يسبر أغوار كل فكرة وكل مشكلة وما أكثر تلك الأفكار والمشكلات. نقول هذا رغم أننا قد نختلف مع مفكرنا حول فكرة أو أكثر من الأفكار التى قال بها.

إنه من المستحيل تماما أن نعبر من خلال دراستنا هذه عن جوانب فكر زكى نجيب محمود ومذهبه، إنه مجدد، والمجدد لا يكون متابعا للآخرين ولا عالة عليهم. مثله فى ذلك مثل من يريد الحصول على ثمرة من الثمار، إنه يحدد مكانها ويصعد بنفسه لاقتطافها من فوق الشجرة، أما المقلد فإنه يكون كما قلت متابعا وعالة على الآخرين، إنه يحصل على الثمرة من تحت الشجرة اعتماداً على أن أفراداً آخرين سبقوه

بأن وضعوا تحت يديه تلك الثمرة. إن مجددا كزكى نجيب محمود قد سار فوق الصخور والأشواك ومهد لنا الطريق. إنه يعد كالبوصلة التى تحـــدد اتجاهنا وتهدينا إلى الطريق السليم، ولم لا؟ وفكر زكى نجيب محمود يعد معبرا عن روح العصر وتياره الأصيل.

من أجل هذا كله، فإننا لا نجد مفرا من التركيـــز علـــى جانـــب رئيسى من جوانب فكره. الجانب الذى يتبلور حول قضية التجديد وكيف كانت دعوته للتجديد تعبيراً عن تيار العصر وروح الحضارة. هذه القضية التى ترتبط بالعديد من القضايا فى حياتنا المعاصرة. وكلما تمر علينا فى المستقبل سنوات وسنوات وقرون وقرون، سيزداد تقديرنا لفكـــر الرجـــل وعمق آرائه لأن المجدد بما يتمتع به من الذكاء الحاد وأصالة البـــصيرة إنما يتخطى عصره، إنه يخترق حجب الماضى والحاضر متجهـــا إلـــى المستقبل. المستقبل الذى لا يدركه المقلد لأنه يجتر من ماضيه أساسا فى حين يكتشفه المجدد بعمق نظرته وأصالة تأمله. وقد أدرك مفكرنا زكـــى نجيب محمود عن طريق العقل. والعقل أساسا، وليس عن طريق رؤيـــة

صوفية أو تجربة وجدانية. وطريق العقل فى كل زمان وفى كل مكان إنما يختلف اختلافا جذريا عن طريق الذوق والوجدان والتصوف.

ولنشر الآن إشارة موجزة إلى الحياة الفكرية لزكى نجيب محمود، ثم نعرض لبعض أبعاد اتجاهه الفكرى مركزين كما قلت على المجال الذى يتعلق بقضية التجديد والدعوة إلى حركة التنوير العقلى، وكيف بدأت إرهاصات هذا التجديد والتنوير خلال مكونات حياته الفكرية.

ولد زكى نجيب محمود فى قرية ميت الخولى عبد الله وكانت تابعة لمحافظة الدقهلية، ثم أصبحت تقع فى زمام محافظة دمياط، وتاريخ مولده هو ١٩٠٥/٢/١م، وقد قضى مرحلة التعليم الابتدائى والثانوى بكلية غوردون بالخرطوم عاصمة السودان حيث كان والده يعمل بالسودان، أما الدراسة الجامعية فكانت فى مصر وقد تخرج عام ١٩٣٠م.

يقول الدكتور زكى نجيب محمود فى كتابه قصة عقل: أسدلت العشرينات أبوابها، وبدأ عقد الثلاثينات وفى أول أعوام (١٩٣٠) تخرج صاحبنا فى مدرسة المعلمين العليا. وبدأ حياة التدريس ليجعلها أحد خطين متوازيين سار عليهما أما الخط الثانى فهو الإقبال الشديد على متابعة

الحياة الثقافية متابعة كادت ألا تترك كتابا أو مقالة مما كان يكتبه أعـــلام الحركة الفكرية والأدبية فى مصر، ومعها متابعة أخرى- لم تكن شاملة- لما يصدر فى أوروبا- وانجلترا بصفة خاصة- من نتاج ثقافى (ص١٦).

هذا ما يقوله مفكرنا عن الفترة التى أعقبت مباشرة تخرجه فـــى مدرسة المعلمين العليا. وليلاحظ القارئ اهتمام مفكرنا بمتابعـــة أحـــداث الحركة الفكرية سواء فى مصر أو خارجها. إذ أعتقد من جانبى أن هـــذه المتابعة إن دلتنا على شئ فإنما تدلنا على فهم الدكتور زكى نجيب محمود لوظيفة المثقف وكيف ينبغى أن تكون، وكم نجد العديد من مقالاتـــه فـــى كثير من المجلات والصحف طوال نصف قرن تكشف لنا عن اهتمامـــه برصد كل الظواهر المهمة وتحليلها تحليلا يعد غاية فى الدقة والعمق.

وكانت الفترة منذ تخرجه حتى سفره إلى انجلتـــرا عـــام ١٩٤٤. فترة مليئة بالنشاط الفكرى وخاصة ما ارتبط بمجلـــة الرســـالة. ولجنـــة التأليف والترجمة والنشر. وتأليف العديد من الكتب كقصة الفلسفة اليونانية وقصة الفلسفة الحديثة وقصة الأدب فى العالم، وأيضا تعريب كتاب فنون الأدب.

وقد قضى مفكرنا بانجلترا عدة أعوام للحصول على درجة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة لندن وهى من كبرى الجامعات الإنجليزية العريقة، وذلك فى سبتمبر عام ١٩٤٤م حتى أواخر عام ١٩٤٧م. وقد أثرت دراسته بانجلترا فى تشكيل العديد من وجهات نظره ويتضح ذلك من خلال كثير من كتبه كالمنطق الوضعى وخرافة الميتافيزيقا ونحو فلسفة علمية وحياة الفكر فى العالم الجديد. بل إن إيمانه المبكر بفكرة الحرية قد ظهر فى اختياره موضوع رسالته للدكتوراه وكان موضوعها الجبر الذاتى. وطالما نجد من جانبه ربطا بين الحرية، وبين تيار العصر والحضارة.

يقول الدكتور زكى نجيب محمود، لقد بلغ اهتمامى يومئذ بفكرة الحرية الإيجابية أن جعلتها موضوعا لرسالتى فى الدكتوراه. فموضوع رسالتى هو الجبر الذاتى والمقصود بعبارة الجبر الذاتى هو أن الإنسان فى حرية إرادته مقيد بماضيه هو نفسه على الأقل. كما هو مقيد بعوامل أخرى تشكل الإطار العام الذى يتحرك حراً بين حدوده، ولكنه داخل تلك الحدود نفسها إذا ما فعل فعلا أو قال قولا فى مستطاعه دائما أن يبدع ما

هو جديد غير مسبوق إليه. أى أن علوم الدنيا بأسرها لا تستطيع أن تتنبأ على وجه اليقين بما أنا فاعله أو قائله فى اللحظة الزمنية القادمة. فهو فعل جديد أو هو قول جديد. لكنها فى كلتا الحالتين جدة تضيف إلى حصيلة البشرية من أفعال أو أقوال، وليست هى مجرد الجدة كالتى نراها – مثلا – فى تخليط المجانين أو فى شخبطة الأطفال إذا ما وجدوا ورقا وأقلاما (قصة عقل ص٤٨-٤٩).

وقد عاد الدكتور زكى نجيب محمود إلى مصر وعمل مدرسا للفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة. تلك الكلية التى تفخر دوما بأن مفكرنا كان من الذين قاموا بالتدريس فيها مدرسا فأستاذاً مساعدا ثم أستاذا ولم يشأ أن يتقلد خلال فترة وجوده عضوا بهيئة التدريس بقسم الفلسفة منصبا من المناصب الإدارية، إنه يعتقد باستمرار أن عمله هو الفكر. والفكر أساسا، وكم بين لى أثناء زيارتى له فى منزله مدى التعارض بين الإخلاص للفكر، والحرص على المناصب الإدارية البراقة. لقد كان حريصا منذ عودته إلى مصر فى خريف عام ١٩٤٧ على الدعوة إلى

التشبع بروح الثقافة المعاصرة من جهة. والدعوة إلى التجريبية العلمية من جهة أخرى، إنه يذكر لنا فى كتابه قصة عقل (ص٥٧) أن فكره حين عاد إلى مصر، كان قد تبلور فى شعبتين: إحداهما وجوب الأخذ بروح الثقافة الأوربية المعاصرة، لعلها تنتهى بنا إلى مثل ما انتهت بأصحابها إليه من وضع الإنسان الفرد فى مكانة تشبه التقديس. والثانية هى وجوب الدعوة إلى التجريبية العلمية، لأنها إذا كانت مجرد اتجاه فلسفى هناك، فهى بالنسبة للأمة العربية ضرورة. إذ من شأنها أن تضبط اللفظ فى مجال التفكير العلمى ضبطا صارما وهو ما أظننا فى أشد الحاجة إليه.

وكما كان مفكرنا شعلة نشاط من النادر أن نجد لها مثيلا فى حياتنا الثقافية المعاصرة، قبل سفره إلى انجلترا، كان أيضا هذا حاله بعد عودته منها. لقد سافر فى مهمات علمية عديدة إلى كثير من البلدان شرقا وغربا. عمل أستاذا زائرا بأمريكا خلال عامى ١٩٥٣، ١٩٥٤، كما عمل مستشارا ثقافيا بسفارتنا بواشنطن، وسافر إلى الكويت حيث عمل بجامعتها أستاذا لمدة خمسة أعوام من عام ١٩٦٨ إلى عام ١٩٧٣، وتمت دعوته

لزيارة أكثر من بلدة عربية من بينها الإمارات العربية المتحدة لإلقاء مجموعة من المحاضرات بجامعاتها.

لقد حصل أستاذنا على العديد من الجوائز تكريما له واعترافا بدوره الفكرى والثقافى وريادته فى مجال الفكر العربى المعاصر والفلسفى منه على وجه الخصوص. حصل على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٦٠ عن كتابه نحو فلسفة علمية. وحصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧٥. وحصل على جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وهو أول مصرى يحصل على هذه الجائزة. وقد ذكر لى أثناء إحدى مقابلاتنا بمنزله. أن منحه هذه الجائزة يدلنا على أن العربية ثقافة قبل أن تكون سياسة، وكان هذا موضوع مقالة من مقالاته بجريدة الأهرام.

ويمكن القول بأن جميع المهتمين بشئون الثقافة والفكر يسعون من جانبهم إلى التعرف على حقيقة آرائه التى تعد كما قلت ثرية ثراء لا حد له، وفتحت لنا آفاقا لم نكن ندرى عنها شيئا. لقد سعيت من جانبى إلى منزله عدة مرات أحاول إقناعه بقبول تعيينه أستاذاً غير متفرغ بقسم

الفلسفة بآداب القاهرة وقد تكرم بتلبية دعوتى وعمت الفرحة كل مكان سواء داخل الجامعة أو خارجها، وذلك بالإضافة إلى رئاسة تحرير مجلة الفكر المعاصر وإشرافه على العديد من المجلات الأخرى، ورئاسته للجنة الفلسفة والاجتماع بالمجلس الأعلى للثقافة وعضويته باللجان العلمية والفكرية واشتراكه فى الإعداد لكثير من المؤتمرات الفلسفية ومن بينها مؤتمر عن الفيلسوف العربى ابن رشد بالجزائر، لقد كنت مسرورا غاية السرور باشتراكى معه فى وضع كتيب عن آخر فلاسفة العرب، " ابن رشد" لكى يوزع على الحاضرين أثناء المؤتمر ، وكم تضاعف سرورى حين أهديت له كتابى ثورة العقل فى الفلسفة العربية اعترافا بدوره الخلاق والمبدع فى صياغة حياتنا الفكرية.

لقد دعانا زكى نجيب محمود إلى ضرورة التعرف على فكر الغرب والاستفادة منه، وقام من جانبه بترجمة العديد من الكتب ترجمة تعد غاية فى الدقة والأمانة ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر الجزء الأول والجزء الثانى من كتاب تاريخ الفلسفة الغربية للفيلسوف الإنجليزى المعاصر، " برتراند رسل" ومجموعة أجزاء من الموسوعة الضخمة،

قصة الحضارة للمفكر الأمريكى ول ديورانت ، وكتاب المنطق للفيلسوف الأمريكى جون ديوى ومجموعة من محاورات أفلاطون. لقد شملت ترجمته التراث القديم والفكر الحديث والمعاصر أيضا، وهذا يعد من جانبه اعترافا بقيمة الترجمة ودورها فى التنوير تماما كما حدث فى العصر العباسى. وما حدث أيضا فى عصر النهضة الأوروبية.

غير مجد فى ملتى واعتقادى تصور التنوير دون الاهتمام بالترجمة فى جميع المجالات علمية وأدبية وفكرية وفلسفية. إننا إذا أردنا لأنفسنا مواصلة التيار الذى ظهر فى مصر منذ ما يزيد على قرن من الزمان والذى يعد فى جوهره إعلانا عن بداية عصر جديد من عصور مصر الفكرية، فلا مفر من الاتجاه بكل قوتنا نحو الترجمة الدقيقة الواعية. وإنه لمن المؤسف حقا أن نرى دول العالم تتجه بكل قوتها نحو الترجمة والاستفادة من الأفكار الموجودة فى أمم أخرى. فى حين أننا نتغافل عن الترجمة وأهميتها ودورها فى إثراء حياتنا الفكرية وصياغة وجودنا الأدبى والفلسفى.

إن التنوير لا يمكن تصوره إلا من خلال التعرف على أفكار الأمم الأخرى. وقضية الأصالة والمعاصرة لا يمكن تصورها والبحث فيها إلا بأن نتجه بكل قوتنا نحو الترجمة. والتقدم فى جميع المجالات أدبية وعلمية ومادية لا يمكن أن يتم أو يتحقق إلا بأن نعرف أفكار أمم الأرض قاطبة من مشرق الدنيا إلى مغربها. ولا أشك فى أن فتح النوافذ حيث الهواء المتجدد النقى يعد أفضل ألف مرة من الهواء الراكد، إن ثقافتنا دون الترجمة ستكون ثقافة مشوهة وعرجاء، ستكون معبرة عن الظلام لا النور. ومن يطلب منا عدم التعرف على أفكار الأمم الأخرى عن طريق الترجمة، إنما يهدف من وراء ذلك إلى أن يظل شبابنا محصورا فى معرفته على الأفكار المسطحة والتى لا نجد فيها عمقا، أى عمق.

لقد نبهنا مفكرنا العملاق زكى نجيب محمود إلى أهمية الترجمة، ولم يكن هذا من جانبه مجرد دعوة نظرية. بل إنه – كما قلت – قد قام فعلا بترجمة العديد من أمهات الكتب فى مجالات شتى فلسفية وغير فلسفية.

بل يمكن القول بأن المتأمل فى تحليلات زكى نجيب محمود لثقافة العصر، وتصوره للحضارة والتنوير، إنما يدرك تماما أن الترجمة تعنى التواصل بين الأجيال، تعنى إقامة الجسور بين ثقافة وثقافة أخرى. إن الثقافة فى انتقالها من ماضيها إلى حاضرها وإلى مستقبلها، إذا كان حالها كالجسور التى على أساسها ننتقل من مكان إلى آخر، على أساسها نضمن التواصل بين الأجيال والأفراد فى كل زمان وفى كل مكان. فإن من يدعونا إذن إلى أن ننصرف عن الترجمة، فإن حاله كحال من يدعو إلى هدم الجسور، إنه يريد فصل ما اتصل ، لا وصل ما انقطع.

لقد كان الدكتور زكى نجيب محمود فى دعوته التجديدية حريصا الحرص كله على أن يبين لنا أهمية الاستفادة من أفكار الأمم الأخرى، أى الانفتاح على حضارة الغرب، إننا نجد هذا واضحا سواء فى كتبه الفلسفية أو فى كتبه التى يغلب عليها أنها تعالج موضوعات أدبية، نعم إننا نجد هذا واضحا تمام الوضوح فى كتب عديدة تركها لنا هرمنا الفكرى الشامخ، زكى نجيب محمود ومن بينها كما أشرنا الشرق الفنان وتجديد الفكر العربى والمعقول واللامعقول وحياة الفكر فى العالم الجديد، وبرتدانـد

رسل، وديفيد هيوم، والمنطق الوضعى، ونحو فلسفة علمية، وجنة العبيط، وشروق من الغرب ، وقشور ولباب، ومجتمع جديد أو الكارثة، والثـورة على الأبواب، ومن زاوية فلسفية، وفى حياتنا العقلية، وفى فلسفة النقـد، وهموم المثقفين، وثقافتنا فى مواجهة العصر، قصة نفس، وقصة عقل... إلى آخر تلك الكتب التى نجد فيها كما قلت دعوة إلى الأخذ بأسباب العلم وأسباب الحضارة، وكما دعانا إلى ذلك أيضا فى آخـر كتبـه "حـصاد السنين".

ونود أن نؤكد من جانبنا على أننا لا نجد تعارضا- كمـا يتـوهم البعض – بين اهتمام زكى نجيب محمود اهتماما بالغا بالدراسات المنطقية على النحو الذى نجده فى المنطق الوضعى وخرافة الميتافيزيقا (موقـف من الميتافيزيقا) ونحو فلسفة علمية، واهتمامه بتجديد الفكر العربـى، ولا أشك فى أن اهتمام مفكرنا العملاق بالدراسات المنطقية عند الغربيين قـد فتح أمامه الطريق إلى السعى بكل قـوة نحـو حـل مـشكلة الأصـالة والمعاصرة وتجديد فكرنا العربى.

لقد درس مفكرنا دراسة دقيقة المحاولات التى سبقته. ويمكننا القول بأننا نجد مواقف عديدة حول قضية التراث وصلته بعلوم الغرب وحضارته، فمن المفكرين من يعتمد على الحديث والحديث فقط أى الدعوة إلى المعاصرة فحسب دون أن يأخذ فى اعتباره، الماضى فى تراثنا، ومن هؤلاء سلامة موسى وحسين فوزى ولويس عوض. كما نجد أمثلة لأناس وجدوا أن الصحيح هو التراث، والتراث فقط، ومن بينهم مصطفى صادق الرافعى، وأيضا نجد مفكرين قد حاولوا المزج بين القديم والجديد، بين التراث والمعاصرة ومن بينهم رفاعة الطهطاوى ومحمد عبده وطه حسين وعباس العقاد، وتوفيق الحكيم.

وقد وجد زكى نجيب محمود أن الصحيح إلى حد كبير جدا إنما يتمثل فى هذا الموقف الأخير أى الموقف الذى لا يرفض تراثنا لمجرد أنه قديم، ولا يرفض أيضا الاعتماد على ثقافة الغرب وحضارة الغرب، إن هذا الموقف يعد واضحا فى العديد من كتبه، ومن بينها : بذور وجذور، وعربى بين ثقافتين. نقول هذا رغم اتفاقنا مع مفكرنا تارة واختلافنا تارة أخرى، ولكن الاختلاف الذى يعد خاصية من خصائص الفلسفة والتفلسف.

لقد انطلق مفكرنا وبكل ما يملك من وقت وجهد نحو البحث فى مشكلة تجديد الفكر العربى، مشكلة الأصالة والمعاصرة. مشكلة المواكبة بين التراث من جهة وتيار العصر والحضارة من جهة أخرى. لقد أخلص للبحث فى هذه المشكلات إخلاصا لا مثيل له، اهتم بالبحث فى هذه القضايا التى ترتبط كل قضية منها بالأخرى وتقترن بها، أكثر من ربع قرن من الزمان.

نعم لقد استغرق منه البحث فى هذه القضايا أكثر من ثلاثين عاما. لقد أكد لى فى لقاء تم بيننا منذ سنوات على ما سبق أن ذكره فى كتابه، قصة عقل، لقد قال لى إن تفكيره فى المزج بين الثقافة العربية والثقافة الغربية قد بدأ فى عام ١٩٥٦ ثم صاغ الفكرة فى عام ١٩٦٠ وذلك فى كتاب الشرق الفنان، إن هذا الكتاب يعد خطة تفكير ، أى خطة بحث فى المشكلة التى وهب لها عمره، مشكلة الأصالة والمعاصرة وما يدور حولها من البحث فى كيفية تجديد الفكر العربى والبحث فى أفضل الصيغ أو الحلول المناسبة، والبحث أيضا فى كيفية مواكبة تيار العصر، تيار الحضارة، والحضارة الغربية منها على وجه الخصوص.

لقد تميز أستاذنا، أستاذ الجيل، زكى نجيب محمود، بحس نقدى غاية فى الدقة والروعة، أيضا حس يجعلنا نقف أمامه فى إجلال وإكبار، تماما كما نقف أمام الأهرامات وأبى الهول ولسنا فى حاجة إلى القول بأن الحس النقدى هو أهم ما يميز الفكر الفلسفى، أهم ما يعبر عن خصائص الموقف الفلسفى، وكل مفكر يبرز لديه الحس النقدى إنما يعد مفكراً عملاقاً، مفكرا شامخاً، مفكرا يحتل مكانة فريدة بحيث يتميز عن سواه من المفكرين، فأرسطو خالد لمنهجه النقدى، وابن رشد يعد عملاقا لمنهجه النقدى، وتوما الاكوينى يعد على رأس فلاسفة المسيحية فى العصر الوسيط للبعد النقدى الذى يميزه عن فلاسفة المسيحية الذين سبقوه ، والفيلسوف الألمانى كانت إنما تشطر فلسفته، الفلسفة الحديثة إلى شطرين، الفلسفة قبل كانت والفلسفة بعد كانت وذلك لأسباب عديدة أهمها حسه النقدى البارز والذى تجلى فى ثلاثيته النقدية: نقد العقل الخالى، نقد العقل العملى، نقد ملكة الحكم، وطه حسين يعد عملاقا لأننا قلما نجد ظاهرة ثقافية أو اجتماعية أو فكرية إلا ونجده قد تصدى للبحث فيها على أساس اتجاهه النقدى، وزكى نجيب محمود يعد على رأس مفكرينا المعاصرين

لأنه أعلى كلمة العقل فوق كل كلمة، أقام تجديده للفكر العربى على أساس نقدى دقيق، والنقد هو أهم خصائص المجدد، لأن المجدد لا يكون مقلدا أو متابعا للآخرين مجرد متابعة... إن هذا الحس النقدى موجود فى أكثر كتب زكى نجيب محمود سواء كانت فى مجال الفلسفة أو كانت فى مجال الأدب، وقد أعانه عليه ذكاؤه الخارق، واطلاعه الجم، وتنظيم وقته تنظيما غاية فى الدقة بحيث يكون مخصصا أساسا للفكر وقضاياه.

إن الحس النقدى التحليلى إذا كان يظهر بكل قوته عند مفكرنا سواء فى كتبه الفلسفية، أو كتبه الأدبية، فإنه يظهر أيضا بأعظم صوره حين يبحث زكى نجيب محمود فى مجالات الفنون، لقد كتب صفحات عديدة رائعة فى هذه المجالات الفنية، وعلى رأسها ما كتبه فى مؤلفه، أيام فى أمريكا.

ومن الواضح غاية الوضوح إذا حللنا تاريخ الفكر العالمى، أنه توجد صلة وصلة وثيقة، بين الإيمان بالبعد النقدى من جهة، والمعارك الفكرية التى يخوضها المؤمن بدور النقد، المؤمن بعدم تقليد أو متابعة الآخرين تقليدا أعمى من جهة أخرى .. ومن هنا نجد أستاذنا يدخل فى

معارك فكرية عديدة .. لقد خاض تلك المعارك متسلحا بالثقافة الغزيرة، متسلحا بالشجاعة، مؤمنا بأفكاره التى أقامها على أساس ثابت وطيد متماسك البنيان، وإذا كان من حق كل إنسان أن يؤمن بالرأى الذى يعتقد بصحته ، إلا أنه ليس من المعقول ولا المنطقى أن يلجأ نفر من أشباه الدارسين وأنصاف المثقفين إلى الهجوم على آراء مفكرنا لمجرد الهجوم، إن هجومهم على هذه الصورة الفجة يكشف لنا عن إن هجومهم إنما يعد جهلا على جهل ولكن أكثرهم لا يعلمون. ماذا يريد هؤلاء الأشباه؟ هل يريدون منا العودة إلى عصور الظلام؟ هل يريدون لنا الانغلاق حول أنفسنا؟ لقد خاض زكى نجيب محمود معاركه الفكرية التى لا حصر لها دفاعا عن طريق النور، دفاعا عن تيار الحضارة بأجلى وأخصب معانيها. دفاعا عن الإنسان وكرامة الإنسان.

ولنقف عند عبارة رائعة نجدها فى كتابه العظيم: قصة عقل (ص٧٣-٧٤) إنه يقول: إذا أنت أمعنت النظر فى الاتجاهات الفلسفية المعاصرة، ويمكن بلورتها فى أربعة ، وجدت جذرها المشترك هو اتخاذ الإنسان فى حياته الدنيوية هو محور الاهتمام، وانظر على هذا الضوء

إلى تلك الاتجاهات الأربعة: أحدها هو اتجاه الفلسفة التحليلية التى تعنى أكثر ما تعنى بفلسفة العلوم والتى هى الفلسفة السائدة فى بريطانيا، فما دامت تصب اهتمامها على التفكير العلمى، فهى بالتالى تقصر ذلك الاهتمام على ما هو ذو صلة بحياة الإنسان هنا على هذه الأرض، وثانيها هو اتجاه الفلسفة البرجماتية الذى له السيادة فى الولايات المتحدة الأمريكية وأساسه هو أن الفكرة تعد صحيحة إذا كانت نتائجها نافعة للإنسان، فليس المهم هو أصل الفكرة من أين جاءت وكيف جاءت؟ بل المهم هو ماذا عساها أن تثمر للإنسان من نتائج تنفعه فى حياته، وثالثها هو اتجاه الفلسفة الوجودية فى غربى أوروبا، ومدار تلك الفلسفة حرية الإنسان فى القرار الذى يتخذه لنفسه ليكون بعد ذلك مسئولا عنه مسئولية خلقية، ورابعها هو اتجاه الفلسفة المادية الجدلية السائدة فى شرقى أوروبا، ومحورها هو أن الحياة الثقافية كلها بما فيها القيم الأخلاقية والجمالية، إنما تولدت عن الحياة الاقتصادية من زراعة أو تجارة وصناعة، فإذا غيرت من أسس الحياة الاقتصادية المادية، تغيرت بالتالى دنيا الثقافة، وإذن ففى

مقدورنا أن نشكل العلاقات الاقتصادية تشكيلا ينتهى بنا إلى إقامة حياة إنسانية تصون للإنسان حقوقه.

ويبين لنا مفكرنا أن الفكر فى الغرب إذا كان اتجاهه وهمه الأول هو صون الإنسان من العوامل التى كانت تطحنه طحنا وتقهره قهرا، فإنه من الضرورى إذن العمل على نشر مثل هذا الفكر فى بلادنا وذلك حتى نتمكن من توفير وتقديس مكانة الإنسان وكرامته، بل لا مفر من قبول النتائج الفرعية التى تنبثق فى تلك الجذور ومنها ما هو خاص بالنظرة العلمية الواقعية إلى الأمور، مادامت أمورا لا صلة لها بمشاعر الإنسان الخاصة، ومن هنا جاءت دعوة زكى نجيب محمود إلى الأخذ الصارم بالنظرة العلمية التجريبية مفرقا فى حياة الإنسان بين مجالين،: مجال التفكير العلمى بكل تفريعاته، ومجال الحياة الوجدانية بشتى جوانبها، فما يصلح لذلك لا يصلح لهذا، فلكل منهما مواقف ولكل منهما معايير للرفض أو القبول.

ويقينى أن المهاجمين لفكر زكى نجيب محمود، واتجاه زكى نجيب محمود، إذا كانوا قد وضعوا فى اعتبارهم هذه التفرقة عند مفكرنا

لجنبوا أنفسهم الهجوم عن جهل أو عن تجاهل، وكم أساء الكثيرون إلى العديد من أفكار مفكرنا وخاصة تلك التى قال بها فى كتابه: خرافة الميتافيزيقا ولم يضعوا فى اعتبارهم أنهم أخطأوا نتيجة لتسرعهم فى الهجوم دون مبررات معقولة يستندون إليها، إنهم لم يضعوا فى اعتبارهم تأكيدات مفكرنا المستمرة على هذا المعنى، وهذه التفرقة، يقول مفكرنا (قصة عقل ص١٤٠): الإيمان بضرورة اللجوء إلى العقل وإلى العلم الذى هو فى الحقيقة تجسيد للعقل فى رسم السبل الناجحة، يتضمن إيمانا بقدرة العقل الإنسانى على الاضطلاع بما خلقه الله من أجله، لكن هل هذه الوقفة هى التى لها السيادة فى حياتنا؟ كلا، فنحن نفاخر سائر الدنيا بأننا أصحاب عقول عامرة بوجدانها، لا فرق فى ذلك بين أن يكون الموضوع المعروض للمعالجة مما تنفع أو لا تنفع فيها القلوب ووجدانها، ومن ثم كانت دعوتى التى ما فتئت أكررها، بوجوب التفرقة الواضحة بين مجالين: مجال لا يصلح له إلا العقل بكل رصانة، ومجال آخر من حق المشاعر أن تشتعل فيه ما شاءت لها حرارتها.

إن مفكرنا لم يقف فى دراسته لقضية التجديد، وخاصة من خلال كتابيه " تجديد الفكر العربى،" والمعقول واللامعقول فى تراثنا الفكرى" عند التراث لمجرد إنه تراث، كما أنه لم يرفض التراث جملة وتفصيلا، نعم لم يرفض التراث من أساسه كما يزعم نفر من المتسرعين وأشباه الدارسين الذين حشروا أنفسهم بين الدارسين للفكر الفلسفى، والفكر منهم براء، وليرجع القارئ إلى القسمين اللذين يتألف منهما كتابه الرائع " تجديد الفكر العربى" وخاصة الفصل التاسع من القسم الثانى وموضوعه " قيم باقية من تراثنا" ، وأيضا فليرجع إلى القسمين اللذين يتألف منهما كتابه " المعقول واللامعقول" إنه يضرب أمثلة من التراث، ولا يضرب أمثلة فى الهواء الفارغ، إنه يدرس التراث دراسة عميقة وبعد ذلك يرتضى لنفسه أن يقف منه موقف المؤيد لبعض ما فيه من قيم تتفق مع العقل، وموقف المعارض لما فيه من قيم تعبر عن شطحات اللاعقل.

إن أبرز ما يميز مفكرنا العملاق، إنما هو حسه النقدى، والذى ظهر بأجلى صوره فى موقفه من الفكر العربى وكيف نوجه مواكبه بين هذا الفكر وبين تيار العصر والحضارة.

إنه يقول فى كتابه قصة عقل (ص٢١٧): لقد قرأت ما قرأته (التراث العربى) ليكون حكمى عليه قائما على معايير عصرنا نحن، من حيث انتفاع الناس به وعدم انتفاعهم، إننى قرأت ما قرأته من التراث العربى قراءة مثقف يعيش فى القرن العشرين، ويتنفس فى مناخ حضارى له خصائصه ومقوماته، ويريد أن يرى الحبل موصولا بينه وبين أسلافه، لكنه فى الوقت نفسه يشعر بأنه ما كل ما عاشه أولئك الإسلاف صالح له هو ولزمانه ولكنه لابد بحكم طبائع الأمور ذاتها، أن يكون فى حياة الأسلاف كذلك ما يجوز- بل ما يجب – أن يبقى ليبقى الرباط.

إن المعيار الذى على أساسه نقبل موقفا من التراث ونرفض موقفا آخر، إنما يتمثل فى العقل وأحكامه، كما يتمثل فى مدى ملاءمته لروح العصر وحضارته.

لقد أخلص مفكرنا العملاق للبحث فى قضية الأصالة والمعاصرة إخلاصا لا حد له أن يقول: إن قضية الجمع بين أصالتنا وضرورة معايشتنا لعصرنا ربما كانت أهم ما تعرضت له من اهتمامات بالتفكير

والكتابة، لقد أصبحت على يقين من أن هذه المسألة هى أم المسائل الثقافية جميعا، إنها القضية التى يصح أن نقول حيالها قولة هاملت فى أزمته النفسية: أن أكون أو لا أكون ذلك هو السؤال. (قصة عقل ص٢٢٢).

هذا هو مفكرنا العملاق أستاذاً ومفكرا وأديباً. إنك لن تستطيع فهم لب فكره، لب مذهبه، إلا إذا قرأت كل ما كتب سطرا سطرا بل كلمة كلمة. لقد دخل تاريخنا الفكرى والثقافى المعاصر من أوسع الأبواب وأرحبها،. لقد شق طريقه وسط الأشواك والصخور، وترك لنا ثروة فكرية فلسفية أدبية غاية فى العمق. ولن يستطيع مفكر أو أديب أن يغفل أو يتغافل عن هذه الثروة التى تعد من أغلى كنوز العالم، إنها تعد كنزا فكريا أبدعه عقل مفكر جبار، أبدعه قلم يعلم تماما أثر الكلمة المكتوبة وخطرها. نعم إنه يعد عظيما بين العظماء، عملاقا بين العمالقة. تبدد كلماته وأقواله ظلام الجهل سعيا وراء نور المعرفة، نور العقل، نور الضياء الذى يهدينا فى حياتنا، وإذا اختلف البعض حول فكره وآرائه. فإن هذا الخلاف فى حد ذاته يدلنا على أن أفكاره تعد حية وليست أفكاراً ميتة،

إن الأفكار الحية دون غيرها هى التى توجب الصراع حولها لأنها أفكار شامخة، أفكار تؤدى إلى إيقاظ العقول حولها. أفكار المسافة بينها وبين التقليد والمتابعة أكبر من المسافة أو الفرق بين الإنس والجن، إنه رائدنا ومفكرنا العظيم، إنه زكى نجيب محمود، الذى تعد كتاباته كلها دعوة إلى التمسك بتيار العصر والحضارة، تيار التجديد، تيار العقلانية ، تيار الفكر العلمى، لقد درس من خلال هذا التيار ، القضايا الفكرية فى حياتنا المعاصرة، وظل مخلصا فى دراستها حتى وفاته كما أشرنا فى التاسع من سبتمبر عام ١٩٩٣.

أقول هذا ولابد من القول به؛ لأننى عرفت الرجل عن قرب وقرأت كل ما كتب، وعشت مع ترجماته لكتب لا حصر لها وتعد غاية فى الأهمية وحللت كل أبعاد معاركه الفلسفية والأدبية والفكرية. وبحيث أقول وبعد أن دعانا الرجل من خلال كل ما كتب إلى التركيز على المستقبل،أى النظر إلى الأمام وليس إلى الخلف، فالنظر إلى الأمام أهم خصائص المجدد، فى حين أن الرجوع إلى الوراء هو ما نجده عند المقلد

والذى يريد أن يقف عند التراث القديم لمجرد أنه تراث، دون أن يضع فى اعتباره أن التراث يعد مليئاً بآلاف الأخطاء ؛ لأنه إنتاج بشر غير معصومين من الخطأ، إنه بشر مثلى ومثلك أيها القارئ العزيز؛ ولكن ماذا نفعل لأناس يجدون سعادتهم فى حياة الكهوف والمغارات كما يفعل الخفافيش أنصار الظلام والأماكن المهجورة.

وفى سبيل سعى مفكرنا نحو الرؤية المستقبلية التنويرية، نجده يخوض العديد من المعارك الفكرية ومن بينها معركة العلمانية، ومعركة الحجاب ، ومعركة أخلاق القرية، ومعركة خرافة الميتافيزيقا ، والأصالة والمعاصرة، والتطرف الدينى والمناقشات البيزنطية، وحقيقة تدريس الفلسفة فى مدارسنا وجامعاتنا... إلى آخر المعارك الفكرية والتى تكشف لنا عن عقلية رائدة، عقلية مستنيرة، قل أن نجد لها نظيرا على امتداد تاريخنا الفكرى العربى المعاصر.

وكم دعانا مفكرنا العملاق فى سبيل السعى نحو الرؤية المستقبلية التى تقوم على التنوير، إلى أن ننظر بعقولنا، وإلى أن ننظر بعين العصر

حين دراسة تراث الأقدمين. لقد ذهب فى كتابه " المعقول واللامعقول" إلى أننا نعد أحراراً إذا اخترنا من التراث العربى المعقول وحده، لأن المعقول وليس اللامعقول هو الذى يجاوز حدود زمانه ومكانه، فما قد قبله العقل يوماً، فإنه يقبله كل يوم، وأما ما أرضى اللاعقل فينا يوماً، فقد لا يرضيه حين تتغير الظروف.

إن وصل الحاضر بالماضى – فيما يرى مفكرنا – لا يتحقق إلا عن طريق الجانب العاقل وإذا كنا نجد نوعين للكتابة فى الماضى: إحداهما أن ينظر المؤرخ للعصر الذى يؤرخ له بأعين أبنائه ومن خلال ظروفه، والأخرى أن ينظر إليه بعين عصره فقد أختار أستاذنا – فيما يقول باستمرار – الطريقة الثانية فى النظر إلى تراث الأقدمين، وهذا قد يساعد على إيجاد رؤية مستقبلية تنويرية.

دعانا الدكتور زكى نجيب إلى فتح النوافذ على الفكر الغربى وبحيث نمزج بينه وبين فكرنا العربى، وعلى وجه التحديد المعقول منه. إن عدم فتح النوافذ يؤدى إلى جمود الفكر .. يؤدى إلى الظلام وبئس المصير، لقد خاض عدة معارك حول ما يطلق عليه "الغزو الفكرى" ويبين

لنا أنه لا يوجد ما يسمى بالغزو الفكرى؛ بل إن الفرد منا إذا هاجم الحضارة الغربية فإن سلوكه يفضح أقواله . فليس بالإمكان أن نستغنى عن منجزات الحضارة الغربية وهل يصح أن أهاجم الحضارة من خلال ميكرفون، والميكرفون من ثمار الحضارة؟ هل يصح أن أهاجم الحضارة من خلال صفحات كتاب مطبوع، والمطبعة ثمرة من ثمرات الحضارة؟ وهكذا إلى آخر الأمثلة التى تبين لنا انفتاح الدكتور زكى نجيب على طريق العلم، طريق الحضارة ، طريق التنوير. وكم قارن بين حركة الترجمة فى العصر العباسى، وبين ما فعله رفاعة الطهطاوى فى مجال الترجمة والاهتمام بها.

واهتمام رائدنا زكى نجيب بالفكر العربى، يعد اهتماماً لا حد له . أقول هذا وأؤكد على القول به وذلك رداً من جانبى على أناس من أشباه الدارسين، والذين يزعمون أن اهتمامه قد جاء عارضاً ولم يكن أصيلاً. لقد كتب عن جابر بن حيان منذ ما يقرب من نصف قرن من الزمان. كتب عن الشرق الفنان كما أشرنا وكتب عشرات الكتب فى مجال فكرنا

العربى ، الأدبى منه والفلسفى، وذلك خلال أكثر من ثلاثين عاماً. فهل نقول بعد ذلك إن اهتمامه جاء عارضا؟ كلا ثم كلا.

لقد ظل الرجل طوال حياته الفكرية مدافعاً عن الرؤية المستقبلية وكتب آلاف الصفحات فى هذه المجالات، ومن بينها وعلى سبيل المثال لا الحصر: المنطق الوضعى، ونحو فلسفة علمية، وشروق من الغرب، وقشور ولباب، والثورة على الأبواب. وفى مجال الفكر العربى: تجديد الفكر العربى، والمعقول واللامعقول، وثقافتنا فى مواجهة العصر. أليست هذه الكتب وعشرات أخرى من كتبه تعد دستوراً لنا نحن العرب، إذا أردنا تجاوز الماضى والحاضر، وأردنا البحث عن مستقبل أكثر إشراقاً وضياء؟ نعم ثم نعم. إن واجبنا المقدس ترك الظلام وبحيث ننشد النور والضياء فى كل زمان وكل مكان.

ويرى زكى نجيب محمود " أن ثقافة الفرد أو ثقافة الشعب فى مجموعه لم تخلق للزينة والزخرف والمباهاة والتفاخر، وإنما لكى تكون أداة فعل حقيقى على أرض الواقع وتحت سمائه. إنه الفعل الذى يمهد السبيل نحو الصحة والقوة والعلم والإبداع. فليس المهم فى الحياة الثقافية

أن نقول: هذه ثقافتنا وتلك ثقافة الغرباء، وإنما المهم هو أن نقول هذا عنصر ضعيف فى بنائنا الثقافى لا يؤدى بنا إلى عزة فلنستبدل به ذلك العنصر لأنه أفعل أثراً. ومن الواضح أن الدكتور زكى نجيب محمود ينادى بالربط بين العلم والعمل، بين النظر والسلوك. وهذا يعد شيئاً متوقعاً إذ أنه يضع يديه على أسباب ضعف الأمة العربية، كما أنه أيضاً يعد متأثراً بالثقافة الإنجليزية والثقافة الأمريكية البرجماتية.

إن الفكر فى الغرب إذا كان اتجاهه الأول هو صون الإنسان من العوامل التى كانت تطحنه وتقهره قهراً، فإنه من الضرورى إذن العمل على إيجاد مثل هذا الفكر فى بلادنا؛ وذلك حتى نتمكن من توفير وتقديس مكانة الإنسان وكرامته، بل لا مفر من قبول النتائج الفرعية التى تنبثق من تلك الجذور ومنها ما هو خاص بالنظرة العلمية الواقعية إلى الأمور مادامت لا صلة لها بمشاعر الإنسان الخاصة. ومن هنا جاءت دعوة زكى نجيب محمود إلى الأخذ الصارم بالنظرية العلمية التجريبية مفرقاً فى حياة الإنسان بين مجالين: مجال التفكير العلمى بكل تفريعاته ومجال الحياة الوجدانية بشتى جوانبها، فما يصلح لذلك لا يصلح لهذا . فلكل منهما

مواقف ولكل منهما معايير للرفض أو القبول، وهذا كله فيما نـرى إنمـا جاء من منطلق رؤية مستقبلية تقوم على النور والتنوير.

لقد أدرك الرجل بثاقب نظره ومـن منطلـق إيمانـه بالرؤيـة المستقبلية التنويرية أنه ليس من المفيد إطلاقاً لأمتنا العربية الوقوف عند التراث لمجرد أنه تراث، والبكاء على الأطلال؛ لأن التراث يعـد نتاجـاً لأفراد مثلى ومثلك أيها القارئ العزيز. والبشر ليسوا كالقديـسين. إنهـم معرضون للخطأ فى كل زمان وكل مكان وبحثوا فى قضايا ومـشكلات عفا عليها الزمن وأصبح بعضها غير مناسب إطلاقاً لعصرنا الذى نحياه ولمستقبلنا الذى ننشده وبحيث يكون أفضل من الماضى ومـن الحاضـر أيضاً. بل نقول من جانبنا إن التراث الذى يحلو للبعض إقامـة هـالات المجد حوله، نجد فيه كماً من الأخطاء لا أكون مبالغاً إذا قلت إن عـددها يفوق عدد سكان الدول العربية من مشرقها إلى مغربها.

غير مجد فى ملتى واعتقادى إهمال أفكار زكى نجيب. لقد قـال بما قال به من منطلق رؤية تنويرية مستقبلية تريد لمصر التقـدم دومـاً، وتريد للعرب أن يصيروا إلى حالة أفضل من حالتهم فى الماضى وحالتهم

فى الحاضر. لقد قال زكى نجيب فى مقالة نشرت بالأهرام منذ زمان طويل إن العبرة بالتكنولوجيا وليس بالكلامولوجيا. والتكنولوجيا نجدها فى الغرب بصفة خاصة، أما عندنا نحن العرب، فنجد السائد هو الكلامولوجيا، وذلك حين يتكلمون ويسرفون فى الكلام حول قضايا لفظية ومشكلات زائفة خادعة، ويتكلمون فى الخرافة أكثر بكثير جداً فى كلامهم عن العلم وتطبيقاته التكنولوجية.

لقد أشرنا أكثر من مرة إلى إيمانه بأهمية العلم. ولنقرأ ما يقوله فى السطور الأولى من كتابه المنطق الوضعى. أنا مؤمن بالعلم، كافر بهذا اللغو الذى لا يجدى على أصحابه ولا على الناس شيئاً . وعندى أن الأمة تأخذ بنصيب من المدنية يكثر أو يقل بمقدار ما تأخذ بنصيب من العلم ومنهجه.

ومن النادر أن نجد مفكرا عربيا معاصرا اهتم بالقضية الكبرى، قضية الحوار بين الحضارات، مثل ما نجده عند هرم ثقافتنا العربية، وعملاق الفكر العربى المعاصر، زكى نجيب محمود فإن من الواجب علينا أن نشير إلى نماذج من رؤيته فى مجال حوار الحضارات.

لقد كان موضوع الحوار بين الحضارات، أبرز الموضوعات التى كانت تشغل فكر رائدنا العملاق. ومن المؤسف أن أشباه الدارسين لفكـــره وممن يقفون عند السطح ولا ينفذون إلى الجوهر والأساس، يدفعهم الكسل العقلى إلى الوقوف عند كتاب تجديد الفكر العربى لزكى نجيب محمـــود، ولا يضعون فى الاعتبار أن اهتمام زكى نجيب بفكرنا العربى قد بدأ منذ السنوات الأولى لكتاباته الأدبية والفلسفية والعلمية. ألم تكـــن أول مقالـــة كتبها. هى مقالة بعنوان: هجرة الروح ألم يكن كتابه عن جابر بن حيـــان سابقا فى الزمان على كتابه: تجديد الفكر العربى. ثم من الذى قال إن هذا الكتاب هو الكتاب الوحيد فى مشروعه الفكرى والثقافى كلا ثم كلا أيهـــا السادة القراء. أن من يقولون بذلك، يعد قولهم نوعا من التزوير الفكرى. لأنهم لم يفهموا سطرا واحدا فى كتب كثيرة لم تدخل فى صميم التجديـــد والحوار والعلم والعقلانية ومن أمثلتها وعلى سبيل المثـــال لا الحـــصر: بذور وجذور. والشرق الفنان والذى نال إعجاب توفيق الحكيم ، وعربى بن ثقافتين، وشروق من الغرب، ومجتمع جديد أو الكارثة ...الخ.

بل وأن المصيبة الكبرى والكارثة العظمى التى نجدها عند هـذا الفريق من أشباه الدارسين ومتخلفى العقول، أن آخر كتبه، وهـو كتـاب حصاد السنين. يعد من أبرز كتبه فى مجال التأكيد علـى الحـوار بـين الحضارات وضرورة الاستفادة من فكر الغرب. نقول هذا ولابد من القول لأننا مازلنا نجد على أرضنا الثقافية من يفسد فيها، وإن كان أكثـرهم لا يعلمون. بل إن مفكرنا الكبير زكى نجيب فى العديد من كتبه التـى أورد فيها سيره حياته الفكرية، بالإضافة إلى حصاد السنين. ونعنى بها كتابـه قصة نفس، وكتابه قصة عقل. كان من خلالها مهموما بالبحث فـى كـل جوانب القضية الكبرى. قضية أن أكون أو لا أكـون. قـضية الحـوار والتواصل بين الحضارات، ولكن ماذا نفعل حيال أناس يقفون عند ظاهر السطور. لأنهم لا يملكون القدرة على النفاذ إلى ما وراء السطور. يقفون عند السطح. لأنهم لا يملكون القدره على الدخول إلى أعمق أعماق فكـر زكى نجيب محمود، وما أعظمه من فكر ولكن ماذا نفعل بالنسبة لأنـاس تحسبهم أساتذة وما هم بأساتذة، بل أشباه أساتذة، وأشباه باحثين.

لقد دعانا زكى نجيب محمود من منطلق إيمانه بحوار الحضارات إلى ضرورة التعرف على فكر الغرب والاستفادة منه، وقام من جانبه بترجمة العديد من الكتب ترجمه تعد غاية فى الدقة والأمانة ومن بينها – على سبيل المثال لا الحصر الجزء الأول والثانى من كتاب تاريخ الفلسفة الغربية للفيلسوف الإنجليزى المعاصر برتراند رسل ومجموعة أجزاء من الموسوعة الضخمة، قصة الحضارة للمفكر الأمريكى ول ديورانت. وكتاب المنطق للفيلسوف الأمريكى جون ديوى. ومجموعة من محاورات أفلاطون، لقد شملت ترجمة التراث القديم والفكر الحديث والمعاصر أيضا. وهذا يعد من جانبه اعترافا بقيمة الترجمة ودورها فى التنوير تماما كما حدث فى العصر العباسى. وما حدث أيضا فى عصر النهضة الأوربية.

كان الدكتور زكى نجيب محمود فى دعوته إلى حوار الحضارات حريصا الحرص كله على أن يبين لنا أهمية الاستفادة من أفكار الأمم الأخرى، أى الانفتاح على حضارة الغرب. إننا نجد ذلك واضحا سواء فى

كتبه الفلسفية والكتب التى يغلب عليها إنها تعالج موضوعات أدبية، نعم إننا نجد هذا واضحا تمام الوضوح فى كتب عديدة تركها لنا هرمنا الفكرى الشامخ، زكى نجيب محمود ومن بينها: الشرق الفنان، وتجديد الفكر العربى، والمعقول واللامعقول، وحياة الفكر فى العالم الجديد، وبرتداند رسل، وديفيد هيوم، والمنطق الوضعى، ونحو فلسفة علمية، وجنة العبيط، وشروق من الغرب، وقشور ولباب، ومجتمع جديد أو الكارثة، والثورة على الأبواب، ومن زاوية فلسفية، وفى حياتنا العقلية وفى فلسفة النقد، وهموم المثقفين، وثقافتنا فى مواجهة العصر، وقصة نفس، وقصة عقل... إلى آخر تلك الكتب التى نجد فيها كما قلت دعوة إلى الأخذ بأسباب العلم وأسباب الحضارة كما دعانا إلى ذلك أيضا فى آخر كتبه حصاد السنين... إن هذه الكتب وغيرها من مقالات ودراسات تقوم على إيمانه بحوار الحضارات لقد انطلق مفكرنا وبكل ما يملك من وقت وجهد نحو البحث فى مشكلة حوار الحضارات مشكلة الحوار وليس الصدام بين الحضارات . لقد أخلص للبحث فى هذه الموضوعات إخلاصا

لا مثيل له، اهتم بالبحث فى هذه القضايا التى ترتبط كل قضية بالأخرى وتقترن بها، أكثر من أربعين عاماً. ولقد أكد لى فى لقاء تم بيننا بمنزله قبل رحيله منذ سنوات على ما سبق أن ذكره فى كتابه، قصة عقل، إن تفكيره فى المزج بين الثقافة العربية والثقافة الغربية وذلك لكى يقيم حوارا بين الحضارات قد بدأ فى عام ١٩٥٦، ثم صاغ الفكرة فى عام ١٩٦٠ وذلك فى كتاب الشرق الفنان. إن هذا الكتاب يعد خطة تفكير أى خطة بحث فى المشكلة التى وهب لها عمره مشكلة الأصالة والمعاصرة وما يدور حولها من البحث فى كيفية تجديد الفكر العربى والبحث فى أفضل الصيغ أو الحلول المناسبة، والبحث أيضا فى كيفية مواكبة تيار الحضارة، والحضارة الغربية منها على وجه الخصوص، وذلك لكى يتم الحوار بين الحضارات.

هذا هو مفكرنا العملاق أستاذا ومفكرا وأديباً نقول هذا وبصرف النظر عن اتفاقنا من جانبنا معه فى الكثير واختلافنا معه فى القليل أنك لن تستطيع فهم لب فكره ولب مذهبه حول حوار الحضارات إلا إذا قرأت كل

ما كتب سطراً سطراً بل كلمة كلمة لقد دخل تاريخنا الفكـــرى والثقـــافى المعاصر من أوسع الأبواب وأرحبها.

لقد شق طريقه وسط الأشواك والصخور، وترك لنا ثروة فكريـــة فلسفية أدبية غاية فى العمق ولن يستطيع مفكر أو أديب أن يغفل أو يتغافل عن هذه الثروة إنها تعد كنزا فكريا أبدعه عقل مفكر جبار سعيا وراء نور الضياء الذى يهدينا فى حياتنا. إن أفكاره تعد حية وليست أفكـــارا ميتـــة والأفكار الحية دون غيرها هى التى توجب الصراع حولها لأنها أفكـــار شامخة أفكار تؤدى إلى إيقاظ العقول حولها أفكار المسافة بينهـــا وبـــين التقليد والمتابعة أكبر من المسافة أو الفرق بين الإنس والجن أنه رائـــدنا ومفكرنا العظيم إنه زكى نجيب محمود الذى تعد كتاباته كلها دعوة إلـــى التمسك بتيار العصر والحضارة تيار التجديد تيار العقلانية إنهـــا أفكـــار تدعو إلى نور الحياة وبحيث تكون بعيدة تماما عن ظلام العدم وما يرتبط بالظلام من الصعود إلى الهاوية والعياذ بالله إن أفكاره حـــول ضـــرورة الحوار بين الحضارات يجب أن نضعها فى اعتبارنا إذا أردنـــا تـــصور

إيديولوجية عربية تقوم على رفض كل الأفكار الزائفة مثل القول بالتعارض بين التقدم العلمى والأخلاق والهجوم على الحضارة الأوروبية وإغلاق النوافذ أمام الحضارات الأخرى نعم إنها أفكار زائفة كشف عن فسادها مفكرنا الراحل زكى نجيب محمود.

الفصل الثالث

نماذج من أفكار الرجل من خلال بعض مؤلفاته

عربى بين ثقافتين

إذا كان مفكرنا العملاق قد دعانا إلى أن ننظر بعقولنا، وأن ننظر بعين العصر حين دراسة تراث الأقدمين فإننا نجد ذلك فى العديد من كتبه. لقد ذهب فى كتابه المعقول واللامعقول إلى أننا نعد أحراراً إذا اخترنا من التراث العربى المعقول وحده، لأن المعقول وليس اللامعقول هو الذى يجاوز حدود زمانه ومكانه، فما قد قبله العقل يوماً، فإنه يقبله كل يوم، وأما ما أرضى اللاعقل فينا يوماً، فقد لا يرضيه حين تتغير الظروف.

إن وصل الحاضر بالماضى- فيما يرى مفكرنا - لا يتحقق إلا عن طريق الجانب العاقل وإذا كنا نجد طريقتين للكتابة فى الماضى: إحداهما أن ينظر المؤرخ للعصر الذى يؤرخ له بأعين أبنائه ومن خلال

ظروفه، والأخرى أن ينظر إليه بعين عصره، فقد اختار أستاذنا – فيما يقول باستمرار– الطريقة الثانية فى النظر إلى تراث الأقدمين.

ويدعونا الدكتور زكى نجيب إلى فتح النوافذ على الفكر الغربى وبحيث نمزج بينه وبين فكرنا العربى، وعلى وجه التجديد المعقول منه. إن عدم فتح النوافذ يؤدى إلى جمود الفكر، يؤدى إلى الظلام وبئس المصير. لقد خاض عدة معارك حول ما يطلق عليه " الغزو الفكرى" وبين لنا أنه لا يوجد ما يسمى بالغزو الفكرى، بل إن الفرد منا إذا هاجم الحضارة الغربية، فإن سلوكه يفضح أقواله. فليس بالإمكان أن نستغنى عن منجزات الحضارة الغربية، وهل يصح أن أهاجم الحضارة من خلال ميكرفون، والميكرفون من ثمار الحضارة ؟ هل يصح أن أهاجم الحضارة من خلال صفحات كتاب مطبوع، والمطبعة ثمرة من ثمرات الحضارة؟ وهكذا إلى آخر الأمثلة التى تبين لنا انفتاح الدكتور زكى نجيب على طريق العلم،طريق الحضارة، طريق التنوير. وكم قارن بين حركة الترجمة فى العصر العباسى، وبين ما فعله رفاعة الطهطاوى فى مجال الترجمة والاهتمام بها.

واهتمام رائدنا زكى نجيب بالفكر العربى، يعد اهتماماً لا حد له. أقول هذا وأؤكد على القول به وذلك رداً من جانبى على أناس من أشباه الدارسين، والذين يزعمون أن اهتمامه قد جاء عارضاً ولم يكن أصيلاً. لقد كتب عن جابر بن حيان منذ ما يقرب من ربع قرن من الزمان. كتب عن الشرق الفنان. كتب عشرات الكتب فى مجال فكرنا العربى، الأدبى منه والفلسفى، وذلك خلال أكثر من ثلاثين عاماً. فهل نقول بعد ذلك إن اهتمامه جاء عارضاً؟ كلا ثم كلا. وأقول باستمرار: إننا إذا كنا نجد أناساً من أشباه المثقفين ومن ذوى الثقافة السطحية، يحلو لهم الهجوم على بعض أفكار رائد فكرنا العربى زكى نجيب محمود وبحيث يسيئون فهم أفكاره، فإننى أقول لهم: لكم دينكم ولنا دين. قلنا إن زكى نجيب محمود قد جعل قضيته الكبرى- وكما أشار توفيق الحكيم بحق- هى قضية الأصالة والمعاصرة، والدعوة إلى المعقول وتحديد أسباب رفض اللامعقول .

ونجد تأكيداً على هذه المعانى كلها فى كتابه "عربى بين ثقافتين". إن هذا الكتاب يثير العديد من القضايا البالغة الأهمية والتى لا يمكن

الفصل بينها وبين القضايا الحيوية التى أثارها فى العديد من كتبه وخاصة " تجديد الفكر العربى"، و " المعقول واللامعقول"، "وثقافتنا فى مواجهة العصر".

ومن القضايا التى يثيرها كتابه الأخير "عربى بين ثقافتين"، "أين نضع المبادئ"، "والعروبة موقف"، " وهذا هو عصرنا"، و " العربى بين ماضيه وحاضره، " "ومن إشعاعات التوحيد،، "ومعنى جمود الفكر"، "وصورة الإنسان"، "والثقافة العربية إلى أين؟... إلى آخر القضايا والمشكلات الحيوية التى يثيرها هذا الكتاب النفيس والذى تزيد صفحاته عن أربعمائة صفحة.

ويقول المؤلف فى الصفحات الأولى من كتابه: إن هذا الكتاب الذى أقدمه بين يدى القارئ قد احتوى على جهد مكثف فى مجال إيجاد صيغة ثقافية للمواطن العربى الجديد، يصطبغ بلون خاص إذا قورن بغيره من الجهود السابقة، إذ اختار المؤلف مجموعة من الزوايا التى تصلح للإطلال منها على مواضع اختلاف جذرية بين الثقافة العربية والثقافة الغربية أدت إلى مذاقين مختلفين لحياة الإنسان. وذلك تمهيداً للنظر من

جديد نظرة فاحصة، فربما تبين أن ما حسبناه اختلافا يضرب إلى الجذور ويستحيل على المصالحة والتوفيق، إنما هو فى حقيقته أكثر مرونة مما حسبنا، بحيث يصبح فى حدود المستطاع أن نقترح صيغة تجمع الطرفين دون تضحية بما هو أساسى وجوهرى فى كل من الطرفين.

ويبين لنا رائدنا الكبير فى الفصل الأول من كتابه، أن ثقافة الفرد أو ثقافة الشعب فى مجموعه لم تخلق للزينة والزخرف والمباهاة والتفاخر، وإنما لكى تكون أداة فعل حقيقى على أرض الواقع وتحت سمائه. إنه الفعل الذى يمهد السبيل نحو الصحة والقوة والعلم والإبداع. فليس المهم فى الحياة الثقافية أن نقول: هذه ثقافتنا وتلك ثقافة الغرباء ، وإنما المهم هو أن نقول هذا عنصر ضعيف فى بنائنا الثقافى لا يؤدى بنا إلى عزة فلنستبدل به ذلك العنصر لأنه أفعل أثراً.

ومن الواضح أن الدكتور زكى نجيب محمود ينادى بالربط بين العلم والعمل ، بين النظر والسلوك. وهذا يعد شيئاً متوقعاً إذ إنه يضع يديه على أسباب ضعف الأمة العربية، كما أنه أيضا يعد متأثراً بالثقافة الإنجليزية والثقافة الأمريكية البرجماتية.

ويحلل مفكرنا الكبير فكرة المبادئ تحليلاً دقيقاً. وهذا أيضاً يعد شيئاً متوقعاً وخاصة أن مفكرنا زكى نجيب محمود قد كتب آلاف الصفحات عن التحليل المنطقى والفلسفى وإنه يضرب مثالاً بلفظ الجمال وكيف يستخدمه الناس فى حياتهم ويحكى لنا عن قراءته لكتاب الجمال والجلال لابن عربى. ويبين لنا أنه إذا كان مفهوماً لنا أن نصف بالجمال غادة حسناء وزهرة وبستانا، فإن الذى يوصف بالجلال من حيث هو مصطلح فلسفى فى هذا المجال، البحر والصحراء والجبل والمبنى الضخم ذو الأعمدة الشامخة ، فبينما تثير موضوعات الجمال مشاعر الرقة والتناسق، فإن ما تثيره موضوعات الجلال هو الشعور بالعظمة والقوة واللانهاية.

ويأخذ مؤلفنا فى تحليل فكرة ابن عربى وتمييزه بين الجمال والجلال وكيف تجيئ آيات الجمال وآيات الجلال فى القرآن الكريم متعاقبتين فواحدة من هذه تتبعها واحدة من تلك ، ويبين لنا كيف تتفاوت درجة الدقة فى تحديد المعنى بين قيمة الحق فى مجال المعرفة والعلم، وقيمة الجمال فى مجال الجانب الوجدانى من حياة الإنسان، فبينما نجد

معايير الصدق العلمى على درجة من الدقة مكنت المشتغلين بالعلوم من الاتفاق على ما هو صحيح مقبول وما هو خطأ مرفوض، نرى تعذر ذلك فى المجال الوجدانى، فما تستريح له النفس عند زيد يكون هو نفسه مصدر القلق عند خالد وهكذا إلى آخر الأمثلة التى تبين دقة كاتبنا فى مجال التحليلات اللغوية والفلسفية وحرصه على الرجوع إلى كتب تراثنا فى العديد من المجالات الفكرية والأدبية.

ويعطينا كاتبنا أكثر من فرق بين "المبدأ" فى مجال العلوم والمبدأ فى مجال الأخلاق. فالمبدأ فى الحالة الأولى ليس مطلوباً لذاته بقدر ما هو مطلوب للنتائج التى تتولد عنه أى أنه وسيلة توصلنا إلى غاية وليس هو نفسه الغاية التى نريد الوصول إليها، كالطبيب الذى يقوم بالتشخيص لأجل العلاج، أما المبدأ فى عالم الأخلاق فإنه نقطة بدء وأيضاً يشير إلى الغاية المراد الوصول إليها فإذا كان المبدأ، التمسك بالحق والصبر، فهو أيضاً المنتهى لأن غاية الغايات هى أن ينشأ مجتمع قائم على حق لا يشوبه باطل.

يضاف إلى ذلك الفرق، فرق آخر، وهو أن معظم المبادئ الخلقية جاءت إلى الناس وحياً من رسالات السماء وليست من صنع البشر، بالإضافة إلى أننا نجد طائفة أخرى من مبادئ الأخلاق قد انبثقت للإنسان من واقع حياته العملية، كأن نقول مثلاً إننا نأخذ بمبدأ مجانية التعليم لجميع المواطنين إعمالاً لفكرة المساواة. فيكون أمامنا مجموعتان من المبادئ الخلقية. مجموعة نزلت وحياً ومجموعة أخرى نشأت من واقع الحياة الإنسانية. وإذا كان يباح للباحث العلمى أن يغير فروضه إذا ثبت له أنها فروض لا تؤدى إلى النتائج المطلوبة، فإنه فى مجال الأخلاق، من حق الإنسان أن يغير المبادئ الخلقية التى نشأت من واقع الحياة الإنسانية، وذلك إذا تغيرت صورة حياته العملية.

ويحلل كاتبنا الرائد فى فصل آخر من فصول كتابه، موضوع العروبة ويكشف عن خصائصها ويعطينا الكثير من الحقائق حول حقيقة العروبة. فالعروبة فى جوهرها موقف من الكون ومن الحياة يتميز مما عداه من مواقف تقفها الثقافات الأخرى.

فليست العروبة دالة على عرق معين بل هى اسم يتشربه على مركب ثقافى معين من شأنه أن يهيئ لمن يتشربه ويعيش تحت مظلته موقفاً يستلهمه عند ردود الفعل كلما صادفه على طريق الحياة العملية حدث مثير.

ويشير زكى نجيب محمود إلى حقيقة لغوية تلفت النظر عند من يمعن النظر فى اللغة العربية. إنه يجد فى الأسماء الدالة على علاقات اجتماعية بعداً خلقياً كامناً فى صميم معناها مما يدل على عمق النظرة الخلقية عند العربى . فكلمة صديق تقيم فى صلب حروفها صفة الصدق. وكلمة جار تحمل فى صلب مبناها أن يجير الجار جاره إذا استجار. وكلمة صهر تحمل فى معناها صفة الانصهار . وكلمة مرء تقضى بحكم حروفها أن تكون المروءة صفة للإنسان. وكلمة أمة تشارك بحروفها كلمة أم مما يقضى أن تكون الروابط بين أبناء الأمة الواحدة هى نفسها روابط الرحم.

إن للعربى وقفته الأخلاقية والتى هى مستوحاة فى المقام الأول فى روح الصحراء فى لا نهائيتها البادية وفى ثباتها النسبى. ومدار

الإبداع الفنى عند العربى صورة مجردة لتأثره بالصحراء وذلك قبل أن تنصب العناية على تحليل الأفراد، ومن هنا جاء الأدب العربى القديم أبعد ما يكون الأدب عن فن الرواية أو فن المسرحية كما عرفها الغرب. وهذا ينطبق على فن الشعر العربى.. إن الشاعر العربى يصف ما يراه المثل الأعلى، ولا يصف أساساً الكائن المفرد المعين.

يقول زكى نجيب محمود: إن الشاعر العربى فى عمق أعماقه متعلق بالمثال المجرد لا بالمثل الجزئى مما يرى على الأرض وذلك استلهاماً لديمومة الحقيقة الصحراوية التى تحيط به.. فهو مؤمن فى حياته الفنية كما هو مؤمن فى حياته الدينية بأن "كل من عليها فان ويبقى وجه ربك". إنه يتكئ على هذه الواقعة الجزئية أو تلك لينفذ منها إلى ما هو أقرب إلى المثال الأفلاطونى فى الموضوع الذى يعالجه.

ويعطينا الكاتب الرائد العديد من الأمثلة والتى إن دلتنا على شئ فإنما تدلنا على عمق لا حد له وثراء ثقافى بغير حدود. إنه يشعر بمسئوليته الكبرى كرائد عملاق ومفكر منقطع النظير إنه يعقد العديد من المقارنات بين فكرنا العربى وفكر الغرب، ويبين لنا أنه من العلوم الجديدة

وتطبيقاتها نشأت حرية أوسع أفقاً وأعمق غوراً ، حين تحـــرر الإنـــسان بفضلها من عوائق الطبيعة، لكن المصدر نفسه قد أدى إلى قيود من نوع جديد فرضت على الإنسان، كادت تفقده هويته وذاتيته لولا فنون جديـــدة وآداب جديدة وبعض النظم الجديدة عملت كلها على إعادة التوازن. وهذا هو عصرنا بخيره وشره. ولست أطالب العربى بأن يسبح فى بحره عـــن صمم وعمى، بل أطالبه بأن يشارك بنصيب فى الإمساك بعجلـــة القيـــادة ليحمل مع غيره تبعات عصر هو يعيش فيه.

إنها كلمات غاية فى الروعة لا تصدر إلا عن مفكر حكيم. كلمات يقولها زكى نجيب محمود فى آخر سطور الفصل الذى كتبه عن العروبة موقف وذلك فى كتابه " عربى بين ثقافتين وأعتقد من جانبى بـــأن هـــذه السطور تحل الكثير من الإشكالات التى تتعلق بقضايا الغـــزو الفكـــرى، والتقدم العلمى والأخلاق وغيرها من قضايا. إنه يمزج دواماً بين القـــديم والجديد، بين الأصالة والمعاصرة. إنه يعطينا أمثلة عديدة فـــى تاريخنـــا الفكرى المعاصر ويذكر أمثال طه حسين ومصطفى عبد الرازق وعباس العقاد وأحمد شوقى وتوفيق الحكيم، ويرى إنه قد انقدحت لهـــم شـــرارة

الموهبة عندما مست مواهبهم كنوز الأقدمين، وهكذا يكون العربى الموهوب بين حاضره وماضيه. يقول مفكرنا ورائدنا: إن الذى نريده هو أن يتلقى العربى الجديد أعمال سلفه بالحب والنقد معاً لينشأ فى نفسه ما يشبه الحوار ويمثل هذا الحوار الحى قد تنقدح شرارة الإحياء الذى يتلوه إبداع، فيكون فى هذه الحالة إبداعاً يحمل فى شرايينه دم الماضى، فيتلاحم ماض بحاضر فى نفس واحدة.

وينتقل بنا أستاذنا زكى نجيب إلى الحديث عن الجسور التى عبرناها ويكتب فى هذا الموضوع عشرات الصفحات ويعطينا مئات الأمثلة التى تكشف عن سعة اطلاعه وإحاطته بالموضوع إحاطة تامة وكاملة. إنه يتحدث عن الصحوة الثقافية فى الأمة العربية والتى بدأتها فى أواخر الثلث الأول من القرن الماضى، ثم رأينا أعلام حياتنا الثقافية فى النصف الأول من القرن العشرين، يمزجون فى وقفتهم بين موروث وغربى، أو بين غربى وموروث. إن كلهم تقريباً على علم واسع بالموروث، وأيضاً على معرفة بتيارات الفكر الأوربى والأدب الأوربى. لكن ماذا نجد بعد ذلك للأسف الشديد ؟ نجد جيلاً جديداً ملأ الساحة وقد

فقد القدرة اللغوية بشعبتيها العربية والأجنبية، فلا هو يستطيع قراءة الأصول العربية فى عيونها ولا هو يستطيع أن يكون على صلة بما تنتجه ثقافة الغرب. وهذا يعد انهياراً فكرياً إذا قارنا بينه وبين كل ما كان يحدث فى الماضى.

ويبين لنا زكى نجيب محمود، أن الأمة العربية قد أقامت جسرين لم ينقطع العبور عليهما بينها وبين فكر الغرب منذ الثلث الأول للقرن الماضى وإلى يومنا هذا، أحدهما النقل عن طريق الترجمة أو العرض والتلخيص، والآخر هو الصلة المباشرة بين عرب يعبرون إلى بلاد الغرب للدراسة أو للتجارة أو للسياسة أو غير ذلك من أهداف، وغربيين يعبرون من الغرب إلينا لتلك الأسباب المختلفة، ومن اللقاء الحى يحدث التفاعل بين الثقافتين أخذاً وعطاء.

فمن الصحيح إذن أن نقول إن أستاذنا يدعو إلى ثقافة النور والتنوير وينبهنا إلى خطورة أن نغلق علينا الأبواب والنوافذ . ولك أن تراجع – فيما يقول زكى نجيب – ألمع الأسماء التى سطعت فى سماء الفكر العربى لترى كم منها قد استمد النور فى هذا اللقاء الفكرى، وليس

بالضرورة أن يكون النور صادراً عن أخذ أفكار الفريق الآخر كما هـــى، بل قد يصدر النور من النقد والمعارضة.

ومن المنطقى أن يبين لنا زكى نجيب أســباب تأخرنـــا الفكـــرى الحالى، وهذا ما فعله حين خصص عشرات الصفحات تحت عنوان " من مواطن الضعف" وقد تحدث فيها عن المعوقات فى مسيرتنا الفكرية آمـــلاً من ذلك أن نغير من حياتنا ما نجده معوقاً لسيرنا الحضارى. لقد بذل فى هذه الصفحات جهداً كبيراً. والقارئ لهذه الصفحات يدرك تمـــام الإدراك أنه أمام أستاذ بكل ما تحمله كلمة الأستاذ من معان ومدلولات. أمام حكيم لا ينطق إلا بعد دراسة وتدبر. لقد عرض علينا مواطن الداء وبـــين لنـــا طرق العلاج. إننا بناة حضارات وثقافات ولم يحدث لنا أن تخلفنـــا عـــن مواقع الريادة إلا فى هذا العصر وحضارته.

ويعطينا الدكتور زكى نجيب أمثلة عديدة وتفصيلات لا حصر لها يكشف من خلالها أوجه تقصيرنا ليس فى المجالات العلمية فقط، بل فـــى المجالات الإنسانية أيضاً. ويقول عن حياتنا الفكرية إنها أضعف الجوانب جميعاً، إن الجانب الفكرى من الفقر بحيث إذا أردت أن تتعقب ما يـــصح

تسميته بالفكر العربى فى عصرنا هذا فربما عدت من رحلتك خالى الوفاض. إننا لا نجد إلا مجموعة من التعليقات على فكرة سلفية أو تعليق على فكرة غربية. ومن الواضح أن التعليقات الأولى لا تحسب لصاحبها، وهذا هو الحال أيضا بالنسبة إلى النوع الثانى من التعليقات ألم أقل لكم أيها القراء الأعزاء، إن أستاذنا زكى نجيب استطاع عن طريق دراساته الإبداعية أن يملك القدرة على المقارنة بين أحوال النصف الأول من القرن الماضى، وبين ما يسود حياتنا الآن من فوضى فكرية.

بل إن أستاذنا زكى نجيب لا يكتفى بالمقارنة بين حالتين تقعان فى قرنين من الزمان، بل إنه خلال صفحات عديدة يعرض علينا تاريخ الفكر العربى من خلال المقارنة بين معقول ولا معقول، بين حرية الفكر وجمود الفكر، بين النور والتنوير، والظلام والجهل. إنه يضرب أمثلة عديدة فى مجالات الأدب والفكر والفن.

إنها أمثلة تكشف – كما قلنا – عن تعمقه وتحليلاته الدقيقة. إنه يفعل ليس كالمؤرخ ، بل إنه يفعل ما يفعله فيلسوف التاريخ وفرق كبير بين المؤرخ وفيلسوف التاريخ.

ويربط أستاذنا دواماً بين الفكر النظرى للمفكر وبين مدى تـــأثيره فى المجتمع الذى يعيش فيه. إنه يتحدث عن خصائص الثقافة وخصائص المثقف وكيف أن الثقافة لها بعدها الاجتماعى البارز، أو هكذا ما ينبغـــى أن تكون عليه. نجد هذا واضحا فى الفصل الذى عنوانه " فكر على فكر" من كتاب "عربى بين ثقافتين"، بل نجده فى العديد من فـــصول الكتـــاب الأخرى، وذلك حين يتحدث عن قضايا التراث وعن الأصالة والمعاصرة وعن موقفنا من الغرب وعن الفرق بين الثقافة العربية القديمـــة والثقافـــة العربية الحديثة، بين ما يقول عنه فكر على فكر، وفكر علـــى مـــشكلات حية. إن الفكر الأول يعد أقرب إلى شروح على فكر غيرنا، أمـــا الفكـــر الثانى فهو الفكر الذى ينبض بالحياة، أى فكر على مشكلات حية.

والواقع أن كتاب " عربى بين ثقافتين" يثير العديد مـــن القـــضايا الحيوية والجوهرية والتى ترتبط ارتباطاً مباشراً بأمتنا العربية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها. إنه يتحدث عن طبيعة الفكر وعن المفكر الأصـــيل وكيف يكون. إنه المفكر الذى يوجه فكره نحو الشئ أى نحو الموضـــوع قبل أن يوجهه نحو فكر جاءه من سواه فيصبح فكراً على فكر. يتحـــدث

عن النهضة وكيف أنها هى الصحوة التى تؤدى بنا إلى القوة بعد ضعف أصابنا. يميز تمييزاً دقيقاً بين الإبداع الفنى والأدبى والذى يقوم فيه الخيال بدور كبير وهو مضمون ذاتى يختص بصاحبه شاركه فيه الآخرون أم لم يشاركوه ، وبين المعرفة العلمية التى يتعلق مضمونها بالأشياء الخارجية كما هى واقعة تراها أبصار المشاهدين .

وكما يتحدث مفكرنا وهرمنا الفكرى الشامخ زكى نجيب محمود عن طبيعة الفكر وعن التمييز بين الإبداع الفنى والأدبى، وبين المعرفة العلمية وطبيعتها ونصيب الأمة العربية من كل نوع من النوعين سواء فى حياتها الماضية البعيدة أم حياتها الماضية القريبة وحاضرها، فإنه يحدثنا حديثاً رائعاً عما نريده من المفكرين أن يؤدوه حتى تنطلق النهضة العربية وثباً وثباً بعد ركود وقعود. إنه يتحدث حديثاً لا يصدر إلا عن مفكر حكيم، مفكر عملاق يضع هموم وطنه فى المكان الأول من اهتماماته. إن على المفكرين – فيما يقول – أن يرسموا الأهداف ليهتدى بها السائرون. إن عليهم رصد مشكلاتنا القائمة على أرضنا بالفعل ليعالجوها بقدراتهم العقلية ابتغاء الوصول إلى حلول.

ويلخص لنا أستاذنا الرائد فى الصفحات الأخيرة من كتابه القيم أبرز القضايا والمشكلات التى يجمعها الإجابة عن سؤال هو: كيف يمكن للعربى أن يحيا عربياً معاصراً لزمنه أو قل مشاركاً فى بناء عصره؟ ماذا يصنعه العربى بميراث عزيز عليه إزاء عصر جديد؟.

ويبين لنا مفكرنا أننا إذا استعرضنا حياتنا الثقافية كما هى قائمة ، وجدنا جانب الفكر أضعف جوانبها. إننا فى عالم الأفكار تحت خط الفقر، أى الفقر الفكرى ويحلل مؤلفنا كل نوع من أنواع الإنتاج الأدبى والعلمى والفكرى لمفكرينا العرب قدامى ومحدثين ويضع يديه على مواطن الداء ويحدد لنا طرق العلاج.

والواقع أن كتاب "عربى بين ثقافتين" يعد معبراً عن شموخ فكرى لرائدنا الكبير زكى نجيب محمود. إننا نجد فيه ثمرة فكر رائدنا وخلاصة تجاربه الفكرية ويعد معبراً عن اهتمامه البالغ بقضية الأصالة والمعاصرة. القضية التى أخلص لها منذ أكثر من ثلاثين عاماً. فإذا تحدثنا عن هذه القضية فإنه من الضرورى ومن الواجب أن نضع فى اعتبارنا أن زكى نجيب محمود يعد على رأس المهتمين بهذه القضية الكبرى فى

فكرنا العربى المعاصر. إن الحلول التى يضعها لهذه القضية أو المشكلة لا يمكن لفرد أن يتخطاها . لقد وضع مفكرنا عليها بصماته البارزة. ومن يحاول إهمال آرائه أو تجاوزها فإن وقته يعد ضائعاً عبثاً. فلم يكتب زكى نجيب ما كتب إلا لكى نضع كتاباته فى سجل الفخر والخلود. ومن حقنا أن نفخر ونتفاخر بأننا من أبناء الجيل الذى يقف زكى نجيب على قمته دون جدل. ومن واجبنا دراسة آرائه وتقديرها حق قدرها. إنها آراء باقية خالدة وليست آراء زائلة فانية. إنها آراء لا تصدر إلا عن إنسان أوتى حظاً كبيراً جداً من حدة الذكاء وعمق التحليل. إنسان دخل تاريخنا الفلسفى والأدبى والفكرى من أوسع الأبواب وأرحبها. إنسان يمتلك زمام الثقافة العربية والثقافة الغربية . إنه واثق الخطوة فى كل ما يكتب. وواثق الخطوة يمشى ملكاً. إنه هرم ثقافتنا العربية المعاصرة. لقد شق طريقه وسط الصخور والأشواك وبحيث وقف على قمة عصرنا العربى الحديث. فكراً وفلسفة وأدباً. إنه الأستاذ . إنه زكى نجيب محمود.

كتاب: بذور وجذور

سيدرك القارئ فى الحاضر والمستقبل وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، أهمية الكتب التى ألفها الدكتور زكى نجيب محمود، الكتب التى تكشف عن اهتمام رائدنا البالغ بالثقافة العربية وما أكثر مشكلاتها وقضاياها. ومن بين كتبه، ، كتابه: بذور وجذور.

لقد اختار زكى نجيب محمود عنوانا دقيقاً لكتابه ينطبق تمام الانطباق على الموضوعات البالغة الأهمية والتى تضمنها هذا الكتاب . استمع إليه أيها القارئ وهو يقول فى أول سطور كتابه وفى المقدمة التى كتبها (ص٥): أردت فى فصول هذا الكتاب أن أتعمق حياتنا لأصل إلى جذورها التى منها انبثق جذع تلك الحياة، ثم من الجذع تفرعت الفروع وأورقت وأثمرت ثمارها، ثم لم أقف عند الجذور، بل مضيت فى الحفر لأصل إلى البذور الأولى التى فعلت فعلها فى خفاء التربة، حتى أخرجت الجذور.

كما يحدد كاتبنا العملاق حقيقة أفكاره. إنها أفكار عاشها الكاتب وعاناها وكلها يدور حول تحليل حياتنا تحليلاً يردها إلى بذورها وجذورها، لتنشأ فرصة أمام أبصار المبصرين أن ترى أين تكمن القوة وأين يكمن الضعف كما يشير إلى أنواع البذور وذلك باختصار فى مقدمة كتابه (من ص٦ إلى ص١٣) إنها على النوع التالى:

البذرة الأولى هى حقيقة " المصرى" ما هى؟ من أى العناصر تركبت هويته على امتداد التاريخ، وكيف نرى حياته الآن.

ويبين لنا زكى نجيب أن جوهر المصرى هو أن يحيا حياته الدنيا بكل أفراحها وأحزانها، على أن ينظر إليها من خلال منظور دينى يبين له أين الخطأ وأين الصواب. وإذا كانت العقائد الدينية قد تغيرت عليه، إلا أن التدين قد بقى ملازماً له. إن لب التدين هو أن ينظر إلى الحياة الدنيا كمقدمة لحياة الخلود.. إن حضارته إذن حضارة أخلاقية فى أعماقها. ومن هنا تلتقى مصر مع سائر أجزاء الوطن العربى الكبير.

أما عن حياتنا اليوم، فإننا نجد صورة العلاقات قد تغيرت فى صميمها. يقول مفكرنا الشامخ ومن خلال نظرته النقدية الحادة الذكاء: لقد

كاد الأمر يتحول من كون الأمة أمة واحدة، إلى كونها تجمعاً من أفـــراد، كل فرد منهم يسعى إلى الحصول على أكبر نصيب ممكن من الغنائم بأقل قدر ممكن من العمل، ومن هنا كان السابقون فى هذا المضمار هم أبـــرع الناس حيلة ودهاء، وليس أرفعهم ذكاء وعلماً وعطاء، وما يقال عن أفراد الشعب الواحد من شعوب الوطن العربى، يقال عـــن الـــشعوب العربيـــة بعضها إزاء بعض، فلم تعد الأمة العربية أمة بينها أواصر الأمة الواحدة، بقدر ما أصبحت عدداً من الشعوب يمكر شعب منها بشعب ليظفر دونـــه بالغنيمة، ولولا بقية جوهرية بقيت ، هى أن هذا التفكك أكثر ظهوراً على صعيد السياسة منها على صعيد الثقافة ، لقلنا إن الرحمن قد أوشـــك بنـــا على الفناء.

هذه الكلمة الرائعة من الدكتور زكى نجيب محمود، تـــدلنا علـــى اهتمامه الكبير بالجانب السياسى إنه يحدد الداء ويصف الدواء، فهل يعلم ذلك أشباه الدارسين ذوى النظرة السطحية ومن يتصفون بالتخلف العقلـــى والذين قالوا إن زكى نجيب محمود، لم يهتم بالجانب السياسى فى فكـــره.

إنهم يظنون إن الفكر السياسى ما هو إلا مجموعة من الخطب الرنانة والكلمات المتقاطعة، تماماً كالكلام الأجوف الذى يصدر عنهم.

البذرة الثانية: لماذا فقد الفرد الواحد من المواطنين فى الشعب الواحد، إحساسه بالآخرين؟ ما الذى غرس فى صدورنا ذلك الضلال الذى تشوه الرؤية عند كل فرد حتى غلبت عليه الأنانية . لقد تم افتقاد الفكرة الموحدة بيننا عن حقيقة الإنسان ما هى؟.

إن الإنسان يعد كائناً اجتماعياً بطبعه ولا يتحقق له وجود إلا إذا نظر إلى نفسه من حيث هو عضو فى جسم كبير دون أن تقلل هذه العضوية من حقيقته كفرد مسئول. مثال ذلك الكائن الحى: فالقلب يؤدى وظيفته الكاملة، ولكن هذه الوظيفة لا تكون لها فائدة إلا إذا قام بمد سائر الأعضاء بزاد من الدم لكى تحيا. وهذا يقال عن سائر أعضاء جسم الإنسان كالرئتين والكبد والمعدة...الخ. لقد انتشرت بيننا الأنانية حتى ظن الفرد الواحد أنه يستطيع أن يسقط من حسابه سائر الأفراد، وظن الشعب الواحد من الشعوب العربية أنه يستطيع أن يسقط من حسابه سائر الشعوب.

وهذه البذرة الثانية والتى يكشف عنها زكى نجيب محمود،، تعد شيئاً رئيسياً إذ نلاحظ فعلاً كيف انتشرت الأنانية بين أفراد الأمة الواحدة من جهة، وبين كل شعب والشعب الآخر من جهة أخرى. إن أكثر الدول العربية تتقاتل الآن فيما بينها ، ومن النادر أن نجد أمة عربية فى منطقة ما من مناطق المعمورة، إلا وتشن الحرب أو العداء على أمة أخرى عربية، وهذا كله يعد معبراً عن الأنانية بين الدول العربية، تماماً كتعبيره عن الأنانية بين أفراد الأمة الواحدة، أو الشعب الواحد، أو الدولة الواحدة.

وكم أكد فلاسفة العالم شرقه وغربه على أهمية أن يكون الإنسان كائناً اجتماعياً. نجد هذا عند أرسطو فى بلاد اليونان حين ذهب إلى أن الإنسان يعد مدنياً بطبعه ، أى كائناً اجتماعياً. والإنسان الأنانى إذن يعد فرداً شاذاً ، فرداً يعد معبراً عن اللامعقول، إذ لا حياة له إلا بأن يتعاون مع المجموع، وحتى ينتقل من صفته الفردية إلى صفته الجماعية، حتى ينتقل من مفهوم الفرد إلى مفهوم الإنسان، حتى يتخطى الجزئى إلى الكلى، وبحيث يصعد إلى أن يكون معبراً عن الإنسان كما ينبغى أن يكون الإنسان. ومن يتمسك بأنانيته، فإنه سيكون كالفرد الذى يعمل على موجة،

والآخرين على موجة أخرى. أما من يتخطى الأنانية إلى الغيرية ، إلى الإنسانية فإنه يكون بذلك معبراً عن التناغم والاتساق والانسجام.

أما البذرة الثالثة فيرى زكى نجيب محمود، مفكرنا الرائد العملاق، بأنها تعد خاصة بالثقافة والمثقفين فى حياتنا القائمة. ويعرض علينا زكى نجيب مجموعة من المعانى تدور حول تعريف المثقف . فمن قائل يقول ، إنه ذلك الإنسان الذى يتميز بحب الكشف عن سر الحياة فى شتى صدرها وفى صورتها الإنسانية بصفة خاصة. إنه لا يكتفى بالوقوف عند أسطح الكائنات وخواطرها، بل يريد أن ينفذ إلى الباطن والجوهر . نجد هذا عند الشاعر والروائى والمسرحى والفنان التشكيلى والموسيقى. بل نجد هذا عند المتلقى ، فهو وإن لم يكن قد أبدعها بالدرجة الأولى، فإنه يحاول أن يعيد إبداعها فى نفسه حيث يتلقاها بالدرجة الثانية. (ص٩-١٠).

ومن الناس من يريد بالثقافة، التنوير، ويراد بالتنوير أن تزداد معارف الناس عن دنياهم بصفة عامة، وأن ترسخ عندهم النظرة العقلية لأمور حياتهم بصفة خاصة. (ص١٠).

أما البذرة الرابعة التى يكشف عنها مفكرنا زكى نجيب محمود، فإنها تعد خاصة بالتراث وما نثيره حوله من ضجة تصم الأذان فلا تصغى ولا تسمع. إن مشكلات أسلافنا وإن اختلفت عن مشكلاتنا اليوم من حيث الموضوع، فهنالك جانب مشترك يربطنا بهم. يقول زكى نجيب محمود: لقد طبق كاتب هذه السطور التجربة على نفسه، وعاد ليعيش لحظة مع أصحاب الفكر الفلسفى فى مشكلة عرضوها واختلفوا فى أمرها، فوجد نفسه منسجماً معهم فى جوهر الموقف، لأن المشكلة كانت عندهم هى هذه : أيأخذون عن فلاسفة اليونان منطقهم، أم أن الأمر فى المنطق مرتبط باللغة، وبالتالى لا يكون المنطق اليونانى صالحاً للغة العربية؟ فلم يجد هذا الكاتب عندئذ فرقاً جوهرياً بين سؤالهم وسؤالنا، فمازال السؤال وارداً يحتمل اختلاف الرأى، إذ نسأل اليوم: أنأخذ عن فلاسفة الغرب ؟ أم أن هؤلاء الفلاسفة يفلسفون حياة ليست هى حياتنا؟ (ص١١).

ويشير زكى نجيب فى دراسته لهذه البذرة الرابعة إلى مشكلة الأصالة والمعاصرة، المشكلة التى أخلص لدراستها والبحث فيها ما يقرب من نصف قرن من الزمان وبدرجة لا نجدها عند أى مفكر فى

عالمنا العربى المعاصر. لقد ارتبط اسم زكى نجيب محمود بتلك المشكلة، مشكلة الأصالة والمعاصرة، بل ارتبطت المشكلة، باسمه وبقلمه ومن يحاول أن ينكر ذلك، فوقته ضائع عبثاً. إن مؤلفاته فى هذا المجال، مجال الأصالة والمعاصرة لا يستغنى عنها أى مهتم بدراسة هذه المشكلة من قريب أو بعيد . وأكثر المحاولات التى نجدها عند أناس يزعمون أنهم يحللون جوانب تلك المشكلة، إنما تعد محاولات سطحية زائفة ، ولم لا؟ وهم من أشباه الدارسين أو أشباه المثقفين، والثقافة منهم براء، تحسبهم من المفكرين، وما هم المفكرين، ولكنها الشهرة العمياء، والطبل الأجوف، بل إنهم صعدوا فوق أكتاف زكى نجيب محمود، ولكنهم أساءوا إليه بعد ذلك، ولم يفهموا أفكاره الحقيقية. لقد تقدم زكى نجيب محمود فى دراسته لهذه المشكلة الكبرى ، مشكلة الأصالة والمعاصرة، بخطوات رائعة ثابتة وواثقة، استمع أيها القارئ العزيز إلى زكى نجيب محمود، وهو يقول: إن الدرس المهم الذى خرج به هذا الكاتب من تلك التجربة، هو أننا لو عقلنا ألفينا أن أسلافنا وهم يعالجون تلك المشكلة، والتى هى نفسها المشكلة التى نتحدث عنها اليوم على أنها مشكلة التراث، والحفاظ عليه،

نراهم يحصرون المشكلة فيما يمس جوانب ثقافية قائمة بالفعل عندهم، ولم يجاوزوا ذلك ليجعلوها مشكلة تشمل كذلك الجوانب التى لـم يكـن فـى حياتهم مثيل لها،.... ولك أن تراجع كتاب الأخلاق لمسكويه فتراه يأخـذ عن التصور اليونانى لعلم الأخلاق أصولاً كثيرة، فلم يقلقه هذا الأخذ ولا أقلق سواه مع أن الموضوع خاص بالأخلاق وتنظيرها، مما كان يمكـن للمعترض على متابعة اليونان فيه أن يجد الكثير الذى يعتـرض بـه، إذ الأخلاق تمس صورة الحياة الإنسانية فى الصميم، فإذا كان هذا هو موقف القدماء فى مشكلة التراث أيامهم أليس الأجدر به أن يكون هو موقفنا اليوم إزاء المشكلة ذاتها؟ (ص١١-١٢).

وتثير هذه العبارة مجموعة من الأسئلة التى تتعلق بالعديـد مـن القضايا البالغة الأهمية والتى تدور حول ما الذى نأخذه من التراث، ومـا الذى نرفضه، وما هو معيار القبول ومعيار الرفض، وما حقيقة ما يثيره ضعاف العقول فى هذه الأيام حول الغزو الفكـرى، وأن الظـلام مـن الغرب، إلى آخر تلك القضايا والمشكلات المهمة، والتى لا نجد مفكرنـا زكى نجيب محمود حريصاً على دراستها والإشارة إليها فى هذا الكتاب،

كتاب بذور وجذور فحسب، بل نراه حريصاً على دراستها وتحليلها وسبر أغوارها فى عشرات الكتب الخالدة التى قدمها لمكتبتنا العربية ومن بينها الشرق الفنان، وتجديد الفكر العربى، والمعقول واللامعقول، وثقافتنا فى مواجهة العصر، وذلك على النحو الذى أشرنا إليه منذ قليل.

وينتقل بنا مفكرنا الشامخ إلى الحديث عن البذرة الخامسة من بذور الشجرة الثقافية كما هى قائمة بيننا وهى التى تتعلق باللغة ويذكر لنا مفكرنا عدة جوانب تتعلق باللغة ويبين لنا أن هنالك ضربين من استعمال اللغة، فهى إما تشير إلى واقعة من وقائع العالم من حولنا، وعندئذ يستطيع المتلقى أن يراجع صدقها على الواقعة المشار إليها، وإما تشير إلى حالة خاصة عند المتكلم، كأن يقول إنه يشعر بالظمأ ، وعندئذ ليس فى وسع أحد أن يراجع قوله تصديقاً وتكذيباً. وهذا الجانب الشعورى ينقسم بدوره إلى قسمين، أولهما أن يجيئ الكلام من النوع الذى يتبادل الناس به أحاديثهم بغير قيد ولا شرط والثانى هو أن يصب الكلام فى صورة تجعله أدباً، فيكون قصيدة من الشعر، أو رواية أو مسرحية وعندئذ تكون له

ضوابط يمكن على أساسها أن يناقش من الآخرين قبولاً ورفضاً. (ص١٢-١٣).

ويبين لنا زكى نجيب محمود، أننا نقع فى الكثير من الأخطاء والخلط بغير حدود وذلك حين لا نتبين الفرق بين المجالين. يقول زكى نجيب محمود موضحاً ذلك: ووجه الخلط الذى نغرق فيه حتى أذقاننا ونتعرض - بالتالى- لما ليس له حدود من التخبط الفكرى ، هو أن المتكلم أو الكاتب قد يقول عما يشعر به هو شعوراً خاصاً، ثم يلزم الآخرين بأن يتقبلوا قوله دون أن يكون لهم حق المعارضة بأن ما قاله بضاعة خاصة به، هو حر فى قبولها، والآخرون بدورهم أحرار فيما يشعرون به أو لا يشعرون... إن اللغة التى من شأنها - إذا أحسن استخدامها - أن تنير الطريق إلى معرفة صحيحة بالعالم، قد أصبحت فى حالات كثيرة وسيلة إظلام يلفنا بضبابه ونحن على وهم بأننا فى مسقط النور (ص١٢-١٣).

إن هذا القول من جانب زكى نجيب محمود يعد دستوراً لنا فى حياتنا الفكرية وذلك إذا درسناه وفهمناه حق الفهم. والواقع أن رائدنا

الكبير قد أخلص إخلاصاً لا حد له بدراسة اللغة وفلسفتها، بدراسة العلم وفلسفته. وهذه الدراسة المتأنية من جانبه ترتبط ارتباطاً رئيسياً بمحاولته الكبرى فى مجال تجديد الفكر العربى. لقد أعانه التعمق فى اللغة وفلسفتها، على التمييز بين المعقول واللامعقول، التمييز بين الصواب والخطأ. فهل يعلم ذلك من يقولون بأن محاولة زكى نجيب محمود فى مجال تجديد الفكر العربى تتعارض مع دراساته العلمية والمنطقية. لقد وجد من أشباه المثقفين من يقول بذلك . وكنت حين اطلع على أقوالهم أقول فلتذهب هذه الأقوال الساذجة إلى الجحيم وبئس المصير لأنها تعد جهلاً على جهل ومكانها الحقيقى هو سلة المهملات.

هذه هى البذور الخمسة التى يتحدث عنها رائدنا العملاق زكى نجيب محمود حديثاً آية فى الدقة والعمق. بل إنه يلخصها فى آخر إشارته إليها وذلك حين يقول: لقد جعلنا البذرة الأولى هوية تحطمت عناصرها حتى لقد فقد الفرد انتماءه، وجعلنا البذرة الثانية فهماً مخطئاً للإنسان، بحيث أخرجناه من مدار العقل لنضعه على أفلاك اللامعقول، وانقطعت وسائل التفاهم بين الناس، وكانت البذرة الثالثة ثقافة بلا غاية يتغياها

المبدعون كل بوسيطه الخاص بميدانه، فانعكس هذا التيه على المستقبلين، وكانت البذرة الرابعة عن التراث، فقد جعلناه هماً لنا بالليل ومشغلة لنا بالنهار، لأننا أخطأنا تحديد البؤرة التى يجب أن يتجه إليها البصر، وأما البذرة الخامسة فهى طريقة استخدامنا للغة فى حياتنا الفكرية ، إذ تحولت على أيدينا أداة لا تؤدى ، وكان الأساس فيها أن تكون أداة توصيل من متكلم إلى سامع، أو من كاتب إلى قارئ. (ص١٣-١٤).

ويحدثنا زكى نجيب محمود عن الجذور، كما تحدث عن البذور لقد تفرعت مجموعة من الجذور عن تلك البذور.

ومن بين تلك الجذور، أن العملية الفكرية فى أى ميدان من ميادينها لم تجد الغذاء الصحى الذى يغذيها فتنمو وتنتج، وإذا كانت مقومات الحياة الثقافية أربعة أساسية: دين وفكر وأدب وفن، فإن الفكر فى حياتنا هو أضعف الأربعة بلا نزاع (ص١٤).

وإذا كان الجذر الأول يتعلق بالمنهج بوجه عام، فإن الجذر الثانى من جذور الضعف فى حياتنا هو ما يتعلق بالتعليم.

ويواصل مفكرنا الشامخ زكى نجيب محمود حديثه عن الجذور من خلال نظرة نقدية واعية شاملة قل أن نجد لها نظيراً بين مفكرينا العرب المعاصرين، ومن هم من أهل التنوير ابتداء من رفاعة الطهطاوى. إننا نجد مفكرنا يتحدث عن حقوق المواطن وغيرها من حقوق خاصة بالفرد من جهة والمجتمع من جهة أخرى. لقد وضع زكى نجيب يده على موضع الداء وقدم لنا الدواء، وليتنا نستمع إلى كلماته الدقيقة الرائعة التى تكشف لنا عن عقلية شامخة، عقلية رائدة. إنه يتحدث كالحكيم العميق الحكمة. الحكيم الذى يملأ بقاع الأرض علماً. إنه يعلن فى صراحة ووضوح وأثناء دراسته لآخر الجذور التى حدد عددها بخمسة، أنه لا طريق لنا إلا بالتمسك بالتنوير. استمع إليه وهو يقول فى آخر سطور مقدمته لكتابه الخالد، "بذور وجذور": لما كان التغير الدائب مؤدياً بالضرورة إلى التفكير فى "المصير"، كان مما يلفت النظر ما نلحظه من ميل سائد فى مجتمعنا نحو العودة إلى الماضى نحتكم إليه فى أمور حاضرنا فيضيع منار المصير، كمن يلوى عنقه لينظر وراءه، فلا يرى فجوة شقت الأرض أمامه إلا بعد أن يقع فيها. ولا أمل لنا فى القضاء

على هذه النظرة الورائية إلا بحركة قوية نحو التنوير، وما التنوير سوى السير نحو النور، والطريق إلى التنوير هو تربية وتثقيف وإعلام تتآزر كلها على الإعلاء من شأن العقل كلما أردنا أن نرسم لأنفسنا سبيلاً يحقق لنا هدفاً. (ص٢١).

والحديث عن البذور والجذور بالصورة التى أشرنا إليها نجده شائعاً فى دراسة رائدنا زكى نجيب محمود، لكل الموضوعات التى اختارها والتى يضمها كتابه بذور وجذور، ذلك الكتاب الذى زادت صفحاته عن أربعمائة صفحة. لقد كانت موضوعات كتابه على النحو التالى:

- نافخ النار
- تلك المعزوفة الكبرى
- كان حلماً ومازال حلماً
- موطن الداء
- تلك أم المشكلات
- حاطب الليل

- حقائق الأشياء وظلالها
- لولا اخترقنا هذا الجدار
- من ذا يزيح هذا الضباب
- وقفة عملية هادئة
- فطرة الإنسان تهديه
- طريق القدماء طريقنا... ولكن.
- ضمائر العلماء
- لجاج واختصام
- صورة مصغرة
- وللحرية شيطانها
- رواية وراويها
- على سبيل الفكاهة
- اختلط الحابل بالنابل
- غمار الناس والصفوة
- الإمام الغزالى تحاوره حواسه

- الشجرة المباركة
- عن العقل ونضجه

ونلاحظ أن النظرة التجديدية العقلية العلمية تسود دراسة زكى نجيب محمود لكل الموضوعات التى اختارها مجالاً لدراسته تحت هذه العناوين التى ذكرها الآن.

نعم إن النزعة التنويرية هى النزعة التى يتمسك بها زكى نجيب محمود طوال حياته. وعلى سبيل المثال نجده فى مقالته عن الشجرة المباركة يبين لنا الصلة بين العلم والنور فهو يقول: الصلة بين " العلم" والنور" شيئ معروف مألوف حتى لنسمع عبارة "العلم نور" شائعة على الألسنة بين عامة الناس فضلاً عن خاصتهم وإنه لقول صادق إلى آخر حدود الصدق برغم ما فيه من مجاز. فالنور يقشع الظلام عن الأشياء فتراها الأبصار بعد أن لم تكن رأتها وهى ملتفة بظلامها، وكذلك يفعل "العلم" بشيئ ما لأنه يتيح لصاحبه أن يرى من تفصيلات ذلك الشيئ ومن حقائق طبيعته ما يتيح له أن يستخدمه وهو آمن، فلا فرق إذن بين "نور"

يبين معالم الطريق، "وعلم" يبين معالم الأشياء فنطوعها كيف شئنا. (ص٣٨٣).

ومن هذا المنطلق يحلل رائدنا زكى نجيب الآية القرآنية: " الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيئ عليم".

لقد حلل زكى نجيب محمود هذه الآية تحليلاً غاية فى الدقة والروعة (من ص٣٨٣ إلى ص٣٩٤) وكان ذلك بعد قراءته لكتاب مشكاة الأنوار للغزالى منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً. ويربط بين أول الآية (الله نور السموات والأرض) وآخر الآية (والله بكل شيئ عليم)، كما يربط بين حركة التنوير عند العرب، وحركة التنوير فى التاريخ الأوربى الحديث. إن هذا الربط لا يستطيع أن يقوم به إلا كاتب جبار مثل زكى نجيب محمود. كاتب ملأ بقاع الأرض علماً ومعرفة. إنه يربط بين التنوير والعلم، يربط بين التنوير والعقل. فهو يقول: فلما جاء القرن العاشر

وامتداده فى الحادى عشر، بلغ التنوير ذروته ، فكانت رسائل إخوان الصفا بمثابة دائرة المعارف التى هى عادة رمز يشير إلى التنوير من ناحية جمع المعلومات وكانت الفلسفة قد بلغت ذروتها عند الفارابى وابن سينا مما يشير إلى سلطان العقل (ص٣٩٣).

والواقع أنه ليس بالإمكان الإشارة ولو مجرد إشارة إلى الدروس الرائعة التى يمكن أن يستفيدها القارئ والدارس من خلال تحليله لهذا الكتاب، إن النزعة التنويرية وإقامتها على أساس العقل والعلم، والربط بين التنوير عند أجدادنا القدامى من أمثال إخوان الصفا والفارابى وابن سينا، والتنوير فى الفكر الأوربى عند أمثال فولتير وكانت الفيلسوف الألمانى، لا نجده فى مقالته عن الشجرة المباركة فحسب، بل نجده فى العديد من مقالاته ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر، طريق القدماء طريقنا، ولكن، ومقالته عن العقل ونضجه ... الخ.

وإذا كنا قد أشرنا إلى البذور والجذور التى كشف عنها زكى نجيب محمود، فى الصفحات الأولى من كتابه ، فإننا نجد تطبيقات عديدة لإشاراته الذكية الرائعة والعميقة فى العديد من صفحات كتابه، ومن بينها

مقالة بعنوان من ذا يزيح هذا الضباب (من ص١٤١ إلى ص١٥٥)، ومقالة بعنوان " وقفه علمية هادئة" (من ص١٥٧ إلى ص١٧٢)، ومقالة بعنوان "نافخ النار" (من ص٢٣إلى ص٣٦).

ولا يخفى هرمنا الفكرى الشامخ زكى نجيب محمود قلقه على ما صارت إليه أحوالنا الثقافية إنه يقول فى مقالته عن "حقائق الأشياء وظلالها": والذى أزعمه عن حياتنا الثقافية اليوم، هو أن هذا الجانب الفكرى منها الذى لا هو إبداع أدبى أو فنى، ولا هو من زمرة العلوم، قد ضعفت فى نفوسنا نبرته وفترت فى سلوكنا دفعته المحركة الموجهة، وربما نتج ذلك بسبب ضحالة من ننعتهم بالمفكرين ضحالة نشأت عن أكثر من سبب واحد، فهنالك الظروف الاجتماعية والسياسية التى مالت بالناس نحو رفض عصرهم ، هروباً إلى الماضى ليختاروا منه ركناً آمناً هادئاً لا يتعرضون فيه لعواصف الأقوياء الذين هم أعداؤهم ومستعمروهم، والقابضون على رقابهم بقوة العلم، أولاً، وقوة المال التى ترتبت على نتائج العلم ثانياً، وقوة السلاح التى نتجت عنهما معاً (ص١٢١-١٢٢).

وهكذا ينتقل زكى نجيب محمود من سبب إلى آخر، من المقدمات إلى النتائج، وبكل صدق وموضوعية. وكم أشار إلى العديد من القضايا الفكرية والاجتماعية والسياسية التى تهم أبناء أمتنا العربية من الخليج إلى المحيط، وقدم لنا آراء غاية فى الجرأة والدقة ليتنا نستفيد منها ونضعها موضع اعتبارنا وذلك إذا أردنا لأمتنا سبيل التقدم والرقى.

إن إحاطة رائدنا ومعلمنا الكبير زكى نجيب محمود بكل موضوع تصدى لدراسته بين صفحات كتابه "بذور وجذور" تعد إحاطة شاملة وغاية فى الدقة وتكشف عن اطلاع غزير على الثقافتين العربية والغربية. تدلنا على إحاطته الشاملة بالثقافة العربية فى قديمها وجديدها.

إن الدكتور زكى نجيب محمود من خلال صفحات هذا الكتاب، وبقية كتبه الأخرى، يعبر عن شموخ فكرى صادر عن إيمان بالعقل، إيمان بالتنوير، إيمان بالعلم. وستظل كتاباته أبد الدهر، لأنها تعد معبرة عن سمو فكرى جعله يقف على قمة عصرنا .

حصاد السنين

إذا كان زكى نجيب محمود قد قدم لنا كتابين بهما سيرته الذاتيــة وهما كتابه "قصة نفس" " وقصة عقل"، فإننا نجده قد قدم لنا كتابه الثالــث فى مجال السيرة الذاتية وهو كتابه "حصاد السنين" والــذى يعــد – كمــا أشرنا – آخر كتاب من كتبه.

إن هذا الكتاب لا يمكن أن يستغنى عنه أى مهتم بفكرنا العربــى الحديث والمعاصر من قريب أو من بعيد، وخاصة فــى مجــال الــسيرة الذاتية لمفكرنا زكى نجيب محمود، وأيضاً فى مجال الاهتمــام بالقــضية الكبرى عنده، قضية الأصالة والمعاصرة، القضية المحورية، قــضية أن أكون أو لا أكون.

نقول هذا ولابد من القول به، لأننا نجد العديد من السير الكاذبــة التى يكتبها أناس تحسبهم من المفكرين، وهم من أنصاف المفكرين أو من أشباه المفكرين هؤلاء الذين أفسدوا أرض الثقافة، والثقافة منهم براء، منهم من رحل عن دنيانا، ومنهم من لا يزال يفسد فى الأرض وبحيث تحولت

حياتنا إلى سواد وأصبحت خراباً بلقعاً، وإن كان أكثرهم لا يعلمون، وذلك لأن سيرهم الكاذبة تعد جهلاً على جهل وتنتشر فى بحور الظلمات.

ونود أن نشير إلى أن هذا الكتاب لا يمكن فهمه إلا إذا وضعنا فى اعتبارنا أنه من الضرورى دراسة كل أفكار زكى نجيب المحورية فى سائر كتبه ، وخاصة أن كتابه حصاد السنين يعد كما قلنا آخر كتبه.

ومن أهم هذه الأفكار التى لابد أن ندرسها قبل دراسة هذا الكتاب، أن زكى نجيب ينادى باستمرار بضرورة الربط بين الفكر من جهة، وحياة الناس من جهة أخرى، أو واقع الحياة والمجتمع.

إن حاله – كما يقول – لم يكن كحال الرجل الذى يلهو بالكلمات المتقاطعة فى محاولة من جانبه لقتل فراغه.

بل من الضرورى الاعتقاد بأن الفكر مرتبط بالمشكلات التى يحياها الناس حياة يكتنفها العناء، فيريدون لها حلاً حتى تصفو لهم المشارب، وبمقدار نجد الفكرة على صلة عضوية وثيقة بإحدى تلك المشكلات نقول إنها فكرة بمعنى الكلمة الصحيحة.

وهذا القول من الدكتور زكى نجيب محمود إنما يدلنا على إيمانه بأهمية الربط بين الفكر والفلسفة من جهة، والمجتمع من جهة أخرى، بمعنى أن تتحدد قيمة الفكرة على أساس مساهمتها فى حل المشكلات الفكرية والاجتماعية فى وطننا العربى، وما أكثر تلك المشكلات، الواقع أننى أجد نفسى – كما قلت فى البداية –عاجزاً تماماً عن تحليل تلك الأبعاد الفكرية عند مفكرنا زكى نجيب محمود لأن أفكاره – كما قلت – بالغة العمق والدقة والثراء، وتحتاج إلى مجموعة من الكتب والدراسات والبحوث حتى يستطيع الفرد منا أن يستوعبها على الوجه الصحيح والدقيق.

إن أبرز ما يتميز به زكى نجيب محمود إنما هو حسه النقدى والذى ظهر بأجلى صوره فى موقفه من الفكر العربى وكيف نجد مواكبة بين هذا الفكر وبين تيار العصر والحضارة.

إنه يقول فى كتابه قصة عقل (ص٢١٧): لقد قرأت ما قرأته (التراث العربى) ليكون حكمى عليه قائماً على معايير عصرنا نحن ، من حيث انتفاع الناس به وعدم انتفاعهم. إننى قرأت ما قرأته من التراث

العربى قراءة مثقف يعيش فى القرن العشرين، ويتنفس فى مناخ حضارى له خصائصه ومقوماته، ويريد أن يرى الحبل موصولاً بينه وبين أسلافه. ولكنه فى الوقت نفسه يشعر بأنه ما كل ما عاشه أولئك الأسلاف صالح له هو ولزمانه، ولكنه لابد بحكم طبائع الأمور ذاتها، أن يكون فى حياة الأسلاف كذلك ما يجوز- بل ما يجب- أن يبقى ليبقى الرباط.

إن المعيار الذى أساسه نقبل موقفاً من التراث ونرفض موقفاً آخر، إنما يتمثل فى العقل وأحكامه، كما يتمثل فى مدى ملاءمته لروح العصر وحضارته.

لقد أخلص مفكرنا العملاق للبحث فى قضية الأصالة والمعاصرة إخلاصاً لا حد له. إنه يقول إن قضية الجمع بين أصالتنا وضرورة معايشتنا لعصرنا ربما كانت أهم ما تعرضت له من اهتمامات بالتفكير والكتابة. لقد أصبحت على يقين من أن هذه المسألة هى أم المسائل الثقافية جميعاً. إنها القضية التى يصح أن نقول حيالها قول هاملت فى أزمته النفسية: أن أكون أو لا أكون ذلك هو السؤال. (قصة عقل، ص٢٢٢).

أما عن معاركه الفكرية، فما أكثرها . لقد أدت أفكاره كما هو الحال عند المجددين فى كل عصر إلى كثير من المناقشات والجدال حولها. لقد بعثت الحياة الفكرية فى عالمنا العربى المعاصر من مشرقه إلى مغربه.

هذا هو زكى نجيب محمود عميد الاتجاه العقلى والذى دعا إلى تمجيد العقل باعتباره الدليل والحكم.

إننى إذا كنت أختلف معه حول فكرة أو أكثر من الأفكار التى قال بها، فإن هذا يدلنا على عظمة فكره وثراء اتجاهه العقلى التنويرى.

نعم إن كتاب حصاد السنين يعد فخراً لنا جميعاً كعرب. إنه يعد معبراً عن فكر ثاقب، ونظرة فلسفية متميزة، بذل فيه صاحبه جهداً ، وجهداً منقطع النظير. يدرك ذلك المحلل لهذا الكتاب ومنذ أول صفحة من صفحاته حتى آخر سطور الكتاب، وبحيث نقول بلا تردد، بأننا لا نتصور أى مهتم بقضايا الفكر والثقافة، إلا إذا وقف عند كل صفحة من صفحات هذا الكتاب الخالد على مر الزمان. لقد أضاف به الدكتور زكى نجيب محمود إلى أمجاده الفكرية، أمجاداً أخرى ما أعظمها وما أروعها، وبحيث

نقول إن زكى نجيب محمود يعد هرمنا الفكرى، يعد أستاذاً لجيل وأجيال من الباحثين والدارسين، وإن كان أكثرهم لا يعلمون .

يقع الكتاب فى ٤٢٥ صفحة ويتضمن مقدمة ومجموعة من الفصول من بينها:

- تغريدة البجع
- منهج جديد
- سنوات التحول
- رؤية واضحة.
- نار ونور.
- فرار إلى مدينة الأحلام.
- الصورة من بعيد.
- مطالع النور.
- المطبوعة الزرقاء.
- فى سبيل الوضوح.
- رؤية موحدة.

- إرادة التغيير.
- خيوط تلاقت.
- نهاية الطريق.

ويعد هذا الكتاب كما أشرنا، آخر كتاب قام بتأليفه زكى نجيب محمود، لقد قام بتأليف هذا الكتاب بعد صدور كتب له، ومن بينها على سبيل المثال، شروق من الغرب، وتجديد الفكر العربى، وموقف من الميتافيزيقا، قصة نفس، وقصة عقل، وهموم المثقفين، وعربى بين ثقافتين، والمعقول واللامعقول فى تراثنا الفكرى، وهذا العصر وثقافته، والشرق الفنان. وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك.

إن الكتاب الذى نحن بصدد الحديث عنه، كتاب حصاد السنين، لا يمكن فهمه حق الفهم، إلا إذا قرأنا كل التراث الذى تركه لنا مفكرنا العملاق، زكى نجيب محمود، لا يمكن إدراك ما فيه من أفكار إلا إذا وضعنا فى اعتبارنا الدور الحيوى والرائد الذى قام به زكى نجيب محمود، والذى يقف على قمة عصر التنوير فى مصر وعالمنا العربى.

يقول زكى نجيب محمود فى السطور الأولى من مقدمة كتابه (ص٥): أحس الكاتب أنه وقد بلغ الخامسة والثمانين من عمره وانتابته عوامل الضعف والمرض أنه قد اقتربت سيرته الثقافية من ختامها مما أوحى له بأن يكتب هذا الكتاب ليقدم به إلى قارئه صورة للحياة الثقافية كما عاشها أخذاً وعطاء وهى حياة طال أمدها حتى بلغ- عند كتابته هذه السطور – ما يزيد قليلاً عن ستين عاماً. بدأت قبل سنة ١٩٣٠م. وطالت حتى أوشك الزمن على الدخول فى سنة ١٩٩١م. ولقد حرص الكاتب أشد الحرص على أن يصور حياته العلمية والأدبية خلال هذه الفكرة الطويلة، فى نزاهة يتجرد بها عن الهوى ما كان ذلك فى مستطاع البشر.

هذه العبارة تكشف عن الدور الحيوى والرائد الذى قام به عملاق الفكر وهرم الثقافة العربية فى عصرنا الحديث. وإذا كنا نتحدث فى هذه الأيام عن التنوير وقضاياه، فإننى أعتقد راسخاً بأن كل سطر كتبه زكى نجيب محمود وفى أى كتاب من كتبه، إنما يعد من جانبه إسهاماً قوياً فى رحلة التنوير، والبعد عن الظلام واللامعقول.

لقد دافع زكى نجيب محمود عن حياة النور. أخلص إخلاصاً بغير حدود لقضيته الكبرى، قضية الأصالة والمعاصرة. حدد لنا أبعاد الصيغة الثقافية التى تلزمنا كعرب فى عصرنا الحديث. إنه يقول فى مقدمة كتابه (ص١٨): ومنذ عامه السبعين، أخذ الكاتب يصدر كتاباً إثر كتاب، ومقالاً بعد مقال ليشرح ما يراه من الصيغة الثقافية المطلوبة، التى نضفر فيها خيطين معاً: أولهما الجانب الذى استبقناه من ثقافة أصيلة زرعت فى أرضنا العربية وأثمرت، وثانيهما جانب متصل بالعلوم فى صورتها الجديدة، والمنهج التقنى المميز لهذا العصر وغير ذلك مما هو حيوى لإقامة الحضارة على الصورة التى منها يتألف عصرنا فى المقام الأول. فهذا كله يجب استزراعه فى أرضنا من شتلات نستوردها من مراكز الحضارة الجديدة فى الغرب. ومن الجانبين: ما هو أصيل أنتجناه نحن على امتداد تاريخنا وما هو مجلوب من بناة الحضارة الجديدة، تتألف الصيغة الثقافية الجديدة للوطن العربى.

هذه العبارة الخالدة التى يقول فيها مفكرنا زكى نجيب محمود، تضع أمامنا رؤية واضحة محددة، وتنير لنا الطريق.

إن القارئ لكتب زكى نجيب محمود، ومن بينها كتابه الأخير، حصاد السنين، يستطيع القول بكل يقين إن الرؤية عند مفكرنا تعد واضحة. لقد حدد لنا الطريق. كشف عن الأدوات التى يجب أن نلجأ إليها إذا أردنا لأنفسنا طريق التقدم والبعث الجديد، ولكن ماذا نفعل ونحن نرى مجموعة من المتخلفين عقلياً، والذين يزعمون لأنفسهم أنهم أساتذة وما هم بأساتذة، يقومون بالهجوم على أفكار رائدنا زكى نجيب، وذلك عن طريق اللجوء من جانبهم إلى استخدام عبارات هلامية عرجاء تذكرنا بالكائنات المشوهة الخلقة. ويزعمون عن طريقها أنهم أصحاب مشروعات فكرية، وهى مشروعات زائفة تحسبها داخلة فى إطار الفكر، والفكر منها براء.

وفى نغمة لا تخلو من الحزن والأسى، يكتب رائدنا مقالته الأولى فى الكتاب، كتاب حصاد السنين تحت عنوان تغريدة البجع: يقال عن البجعة إنها إذا ما دنت من ختام حياتها سمعت لها أنات منغومة تطرب آذان البشر، ولا يمنع طربها أن تكون تلك الأنات صادرة- على الأرجح- من ألم يكويها، ومن هذه التغريدة الجميلة قبيل موتها جاء التشبيه عند أدباء الغرب الذى يصفون به عملاً جيداً أنجزه صاحبه ليختم به حياته، إذ

يقولون عنه إنه تغريدة البجعة، وقد أراد هذا الكاتب أن يقولها عن نفسه، لأنه لا يتوقع أن يقولها عنه سواه (ص٢٠).

ويحلل لنا الدكتور زكى نجيب محمود جوانب كثيرة من حياته الفكرية تحليلاً يعد غاية فى الصدق والأمانة والموضوعية. ونقول إن حياة هذا الرائد العملاق تصلح أن تكون دليلاً لكل شبابنا فى هذا العصر الذى نعيشه على وجه الخصوص . إن فى حياته الفكرية مجموعة من الدروس التى تصلح أن تكون دستوراً لنا. إنه بذكائه الحاد يجاوز مرحلة التحصيل والحفظ إلى مرحلة النقد، وذلك منذ السنوات الأولى من حياته الفكرية. ولعل ما يدلنا ذلك تمام الدلالة، قوله: وصاحبنا منذ أوائل شبابه كان على يقظة كافية تحثه أن يرى ويسمع ويقرأ، فكان له بهذا كله أن تجمعت لديه أفكار من هنا وهناك، تتفق أحياناً وتتعارض أحياناً، وقد كان يمكن أن يقف عند هذا الحد من التحصيل الذى يجمع ولا يعرف كيف ينتقى ويختار، وما أكثر ما تصادف بين الدارسين والقارئين من وقف عند عملية الجمع والتحصيل والحفظ، لكن صاحبنا بتوفيق الله قد وجد فى تكوينه دوافع داخلية تدفعه إلى مجاوزة تلك المرحلة إلى ما بعدها، وأعنى

مراجعة المحصل مراجعة نقدية تقبل هذا وترفض ذلك وتعدل من ذلك حتى يحس بنفسه وقد اطمأنت لوجهة من النظر تستريح لها، فتشعر وكأنما جاءت تلك الرؤية ثمرة طبيعية من إبداعها، وليست شيئاً غريباً أقحم عليها (ص٢٢).

هذه العبارة تكشف لنا عن الفرق والفرق الدقيق بين المقلد والمجدد. فالمقلد يردد عادة مجرد ترديد الأفكار التى يقوم بحفظها وتحصيلها من بين ثنايا الكتب التى يقوم بقراءتها ، أو الأقوال التى يسمعها تتردد على أفواه الناس، أما المجدد فإنه يجاوز تلك المرحلة بحثاً عن الأفضل، بحيث لا يكون عالة على أفكار الآخرين . إن المقلد ينظر إلى أسفل، أما المجدد وهو الذى يقوم بعملية إعادة البناء، فإنه ينظر إلى أعلى. وفرق، وفرق كبير كما قلنا، بين من يلتقط الثمرة من على الأرض، وبحيث يكون عالة على الآخرين، وبين من يصعد بنفسه إلى الشجرة حتى يحصل على الثمرة. هذا ما نقول به باستمرار.

ويبين لنا مفكرنا كيف عاش حياته الواعية فى عالم الأفكار أكثر مما عاشها مع الناس. وحتى لا يساء فهم هذا الجانب، نرى الدكتور زكى

نجيب يقوم بتحليله وشرحه، وذلك من عدة جوانب من بينهـا لأن دنيـا الأفكار لا تقتضى العزلة الكاملة عن الحياة اليومية، والدليل علـى ذلـك اهتمام زكى نجيب بأداء الواجبات الاجتماعية وحرصه على إقامة الروابط بينه وبين الآخرين (ص٢٤).

ومن بينها أن الدكتور زكى نجيب لا يملك منع نفسه من محاولة "التعليل"، لأى شئ يلفت نظره فى ظواهر الحياة. إنه يبحث لكل ظـاهرة سلوكية عما يفسرها، وهو بحث يتم أكثره فى صمت ويخرج أقلـه إلـى العلانية (ص٢٥).

ومن بينها، الرغبة الشديدة فى أن يعتصم بجدران بيته، وأن يوغل فينكفئ على دخيلة نفسه يجتر من مكوناتها ما عساه يطفو علـى سـطح الوعى من ذلك المكنون (ص٢٦).

والواقع أن الدكتور زكى نجيب محمود لم يسع يوماً إلى الشهرة. لم يسع إلى بريق المناصب. لقد أخلص للفكر إخلاصاً بغير حـدود. وإذا كان قد عاش فى عالم الأفكار أكثر مما عاش مع النـاس، إلا أن أفكـاره

كانت وستظل هادية للناس طوال أجيال وأجيال. لم تكن عزلة سلبية، بل كانت عزلة إيجابية. عزلة ينبغى أن يتمسك بها كل من يتمسك بدولة الفكر. ومن يقف عند الصفحات التى حلل فيها رائدنا زكى نجيب ما يقصده بعالم الأفكار وعالم الناس، فإنه سيتعرف على الفرق ، والفرق الشاسع بين الفكر كما ينبغى أن يكون، وبين أناس لا يتكلمون إلا بحكم مناصبهم، أناس لا يذكرهم الآخرون إلا بتأثير الدعاية والطبل الأجوف.

إن حياة الدكتور زكى نجيب لا تعنى الغربة عن الآخرين. استمع إليه أيها القارئ العزيز وهو يقول: (ص٢٧): " إن الوحدة العددية لمن يعتكف ، وأعنى حين يكون الإنسان فى هدوء عزلته، ليس بالضرورة غربة يغترب فيها عن الناس وما يحيون به ويفكرون فيه، بل إنها كثيراً ما تكون هى الفرصة الذهبية للاتصال بخيرة الناس يستمع إليهم فيما يقولونه شرحاً لأفكارهم وتعبيراً عن وجدانهم، وإنها لأفكار، وإنه لوجدان لم ينزع من خلاء، بل استصفاه واستقاه هؤلاء المؤلفون من صميم الحياة التى يحبونها فى دنيا الفعل والتفاعل".

ويذكر الدكتور زكى نجيب محمود مجموعة من الأعلام، مبيناً قيمة الأدوار التى قاموا بها وذلك فى النصف الأول من القرن العشرين. لقد كان هؤلاء الأعلام- فيما يقول- يجسدون بأشخاصهم وبأعمالهم روح هذا العصر الجديد. كل منهم فى جانب من جوانب تلك الروح، وإذا كان الدكتور زكى نجيب محمود يذكر هؤلاء الأعلام، فإنه يعطينا بذلك درساً فى الوفاء، وبياناً بأن المفكر لا يبدأ من فراغ . ويقينى أننا إذا أخذنا ذلك فى الاعتبار، فإنه سيتبين لنا تماماً أبعاد تلك المشروعات الوهمية التى ينسبها أناس إلى أنفسهم ويزعمون بأنهم بدأوا من فراغ، بل إن هؤلاء الأشباه أصحاب تلك المشروعات الزائفة يقومون بالهجوم على أعلام كبار دون أن يضعوا فى اعتبارهم أن هؤلاء الأعلام يمثلون الأصول. يمثلون الريادة الحقيقية، وسواء اتفقنا معهم أم اختلفنا. إن العبارة التى سنوردها بعد قليل من كتاب حصاد السنين تكشف لنا عن حدة ذكاء زكى نجيب واطلاعه الواسع ورؤيته النقدية الفلسفية لقد استطاع الكشف عن أخص خصائص فكر كل واحد من هؤلاء الأعلام. يقول زكى نجيب محمود (ص٣١-٣٢).لقد كان هؤلاء الأعلام يجسدون روح هذا العصر الجديد،

كل منهم من جانب تلك الروح: أحمد لطفى السيد بما ينادى به من وجود الحرية الفردية المسئولة، رجلاً كان ذلك الفرد أو امرأة، وطه حسين بما عمل على إشاعته فى النفوس من إزاحة التقديس عن حقائق التـــاريخ... وعباس محمود العقاد بمجموعة دواوينه الشعرية، إنما قدم للناس تطبيقاً مجسداً للفردية المستقلة الحرة التى اضطلع لطفى السيد بالدعوة إليها فـــى مجال السياسة، ويمكن القول كذلك بأن أمير الشعراء أحمد شوقى قدم إلى الأمة العربية شعراً يرسخ فى قلوبهم روح الانتماء القومى... ولئن كـــان شعر العقاد تعبيراً عن الفردية فى وجودها السياسى فإن جماعة "أبولـــو" التى تكونت فى أوائل الثلاثينات، حرصت على أن تمثل بشعر شـــعرائها روح الفردية من جانبها الوجدانى الخاص، وهكذا نستطيع أن نجـــد فـــى روادنا من أعلام الجيل الماضى مرايا تعكس صورة العصر مـــن شـــتى جوانبه.

ويبين لنا الدكتور زكى نجيب محمود كيف كان الحوار فى تلـــك الفترة بين روادنا وبين بعض رواد الغرب، وذلك حتى تكتمل الـــصورة، فهو يقول (ص٣٢): لم تكن الروح التى طالبـــت بـــأن تهـــدم الـــصورة

الحضارية التى تعفنت بحلول هذا القرن، تقتصر علينا، بل العكس ربما كان أقرب إلى الصواب. إنها كانت قبل ذلك مشتعلة عند أعلام أوروبا من رجال الفكر والأدب، وجاءتنا نحن ومضات من ضيائهم، بما كان قد توطد من صلات بين رواد حياتنا الثقافية ورواد حياتهم هناك فى الغرب، إلا أن انعكاس الضوء على مرآتنا قد جاوز حدود الأصل ليثور على ذلك الأصل الوافد نفسه، كلما تعارض مع ركائز ثقافتنا، ومن هنا رأينا بين روادنا من شغل نفسه بالرد الرافض لما يكتب عبر البحر أو يقال، على غرار ما فعل الأفغانى فى " الرد على الدهريين "، والشيخ محمد عبده فى الرد على "هانوتو " ورينان" ، والعقاد فى الرد على كثير مما قاله مستشرقون كتبوا عن الإسلام والمسلمين. وإلى جانب هؤلاء الذين تأثروا بما كتب أو قيل فى الغرب وتولوا الرد عليه، كانت هنالك جماعة تتخذ أسلوبا آخر فى إيجاد التوازن الثقافى الذى يصون الهوية العربية الإسلامية حتى لا تنجرف مع تيار الفكر المنقول، تتمثل تلك الجماعة فى أفراد عرفوا كيف يكتبون بأقلام عربية قومية رصينة، مادة عربية

وإسلامية أصيلة، كالذى نراه عند مصطفى صادق الرافعى، وأحمد حسن الزيات، والشيخ عبد العزيز البشرى وغيرهم.

لقد ذكر زكى نجيب محمود هذه النماذج لكى يبين لنا كيف وقف فى شبابه الطموح وسط إعصار من رياح التجديد والتغيير.

وينتقل مفكرنا ورائدنا زكى نجيب محمود فى الفصل الذى جعل عنوانه " نار ونور " إلى الحديث عن معالم ثقافية أخرى، لم يكن إزاءها متأثراً فحسب بل كان مؤثراً، كان له دوره الحيوى والفعال بالنسبة لها. فهل يمكن أن ننسى نشاطه الكبير فى لجنة التأليف والترجمة والنشر، وهى من أعظم لجان التأليف والنشر فى القرن العشرين وفى عالمنا العربى؟ لقد سعت إلى تحقيق الأهداف التى قال بها رفاعة الطهطاوى فى ثلاثينيات القرن التاسع عشر.

وبشرح زكى نجيب هذه الأهداف الثلاثة، فهى تريد قناتين تنتهيان إلى ثالثة تغذيانها بما تحملانه من رحيق. والقناتان هما إحياء الماضى الذى يستحق الإحياء ونقل من ثقافة الغرب لما يستحق أن ينقل، فيكون الأمل المرجو بعد ذلك هو أن يتلاقى الغذاء آتياً من نفائس آبائنا من قناة

الإحياء، وآتيا من نتائج الغرب قديمه وحديثه على السواء من قناة الترجمة. فإذا صادف ذلك المركب الغذائى موهبة أبدعت جديداً بوحى مما استقبلته من هنا ومن هناك (ص٣٥).

فأين نحن الآن من هذه اللجنة الثقافية. لقد تحولت أكثر دور النشر فى عالمنا العربى إلى أدوات تجارية. تحولت إلى أدوات لنشر الفكر المظلم تحت تأثير الدولار. وسحر الدولار. أين نحن الآن من الجهد الكبير الذى بذله أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر، وهم أناس آمنوا بوطنهم، أناس أدركوا أهمية الفكر الجاد، ولم يكونوا كهؤلاء الذين انتشروا الآن فى عالمنا العربى ويقومون بالصراخ والضجيج، ويقولون عن أنفسهم إنهم من الشعراء، وليس بينهم وبين الشعر أية صلة من قريب أو من بعيد. يقولون إنهم ينتجون فكراً إبداعياً، فى الوقت الذى نجده فى حقيقته مجموعة من الكلمات المتقاطعة لا تصدر إلا عن أناس بلغوا أقصى درجة من التخلف العقلى وبئس المصير.

يقول زكى نجيب محمود (ص٣٥): وهكذا أراد مؤسسو لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وهو أن تنقل بالترجمة عن الغرب ما تختاره

من نتاجه وأن تقوم على نشر ما ترى نشره من التراث وذلك بعد تحقيقه، ثم تترك للمواهب المبدعة أن تؤلف من لدنها ما تثمره تلك المواهب، وكان أحمد أمين هو المهندس الأول الذى يضع المطبوعة الزرقاء لما ينبغى أن تسير عليه خطوات البناء، فهو بحق طهطاوى القرن العشرين فى مصر.

إن الفصل الذى كتبه زكى نجيب محمود تحت عنوان "نار ونور"، يصلح تماماً أن يكون سجلاً للحياة الثقافية فى مصر والعالم العربى فى فتر ة من الزمان. إنه يعد سجلاً فكرياً من النادر أن نجد له مثيلاً فى الكتب التى اهتمت بتحليل الحياة الفكرية فى عالمنا العربى، ومصر على وجه الخصوص. فالصفحات من ٣٤ حتى ٤٦ تعد وثيقة مهمة تكشف عن الأوضاع الثقافية فى مصر، وصلتها بما يحدث فى أرجاء العالم، ومدى تأثيرها فى أفكار رائدنا العملاق زكى نجيب محمود. إنه ينظر إلى الأوضاع الثقافية من خلال رؤية نقدية، ويقارن بين تلك الأوضاع، وما يحدث فى الواقع.

وينتقل الدكتور زكى نجيب محمود فى فصل من فصول الكتاب بعنوان " منهج جديد " إلى بيان التفرقة بين فكر وفكر، بين منهج ومنهج. يحلل تحليلاً دقيقاً العديد من الألفاظ. ويقول مفكرنا فى عبارة غاية فى الدقة والروعة (ص٥٩) : " والسعى وراء مزيد من المعرفة بطبائع الأشياء وحقائق المعانى، هو بمثابة الجوهر فى حركات التنوير. فكلما زدنا أبناء الأمة إدراكاً للمعارف الصحيحة عن دنياهم، زدنا بالتالى "نوراً " وعكس ذلك هو الظلمة والظلام والظلم، نعم ، نعم إن " الظلم" صنو "الظلام"" لغة ومعنى. فإذا رأيت الظلم قد باض وأفرخ فى هذا الركن أو ذلك من أركان الوطن العربى، فاعلم أن علة ذلك هو أن عتامته قد حجبت " النور " عن الأفئدة لقلة ما يعرفونه ومع القلة جاءت كذلك أغشية من ضباب الخلط والغموض، ومن أجل هذا قامت فى الناس حركات " التنوير " كلما دعت دواعيها،ولب. " التنوير " هو مزيد على مزيد من معرفة صحيحة واضحة.

ويقينى أن من يتحدثون عن التنوير الآن يجب أن يضعوا فى اعتبارهم هذه العبارة الرائعة والدقيقة. ولو كانوا وضعوا ذلك فى

اعتبارهم، لما قالوا بعباراتهم الخطابية الإنشائية الفارغة من المضمون والتى لا صلة بينها وبين التنوير من قريب أو من بعيد.

ويواصل الدكتور زكى نجيب محمود حديثه عن رحلته الفكرية، ويقف عند كثير من المحطات الفكرية المهمة، ويكشف عن مدى تأثره بها، وتأثيره فيها. والواقع أن حديثه عن رحلته الفكرية فى كتابه حصاد السنين يعد جزءاً لا يتجزأ مما وجدناه فى كتابيه العظيمين: قصة نفسه، وقصة عقل. ومن هنا يكون من الضرورى لفهم أبعاد شخصية رائدنا ومعلمنا زكى نجيب محمود، الرجوع إلى كتابه حصاد السنين وبحيث يقوم المرء بدراسته مع كتاب قصة نفس، وقصة عقل.

بل إن كتاب حصاد السنين يعد تاجاً بالنسبة لبقية كتب زكى نجيب. إنه يوضح لنا العديد من الأمور التى لابد من معرفتها حتى ندرك الأهداف السامية والنبيلة والتى سعى إلى تحقيقها من خلال إقدامه على ترجمة ما ترجم، وتأليف ما ألف. إن كتاب حصاد السنين يعد وثيقة فكرية عظمى لا أكون مبالغاً إذا قلت بأننى لا أتصور مثقفاً عربياً دون دراسة هذا الكتاب دراسة واعية ودقيقة.

فأحداث مصر الفكرية وعلاقتها بما كان يدور فى العالم الغربى، ودور زكى نجيب محمود الخالد فى خضم هذه الأحداث، كل ذلك أصبح واضحاً تماماً بعد قيام الرائد والمعلم زكى نجيب بتأليف حصاد السنين.

لا نجد هذا واضحاً فحسب فى الفصول التى تحدثنا عنها ووقفنا عندها، بل نجده فى بقية فصول الكتاب وليرجع القارئ إلى حديثه الدقيق تحت عنوان " رؤية واضحة " (من ص ١٢٩ حتى ١٦٧). وتحليله الدقيق لتيار الفكر تحت عنوان " مطالع النور " (من ص ١٦٨ حتى ص ٢٠٨)، وأيضا تصوره الدقيق لما ينبغى أن تكون عليه حياتنا الفكرية إذا أردنا لنفسنا طريق التقدم، وذلك من خلال العديد من الصفحات التى كتبها تحت عنوان " المطبوعة الزرقاء " (من ص ٢٠٩ حتى ص ٢٤٧)، وتحت عنوان إرادة التغيير ٠ (من ص ٢٤٨ حتى ص ٢٨٨)، والعناصر المكونة لثقافته، وكيف ينبغى أن تكون الثقافة تحت عنوان " فى سبيل الوضوح " (من ص ٢٨٩ – حتى ص ٣١٦) وتحت عنوان " خيوط تلاقت " (من ص ٣١٧ حتى ص ٣٤٣) وأيضاً تحت عنوان " رؤية موحدة " (من ص ٣٤٤ حتى ٣٨٥).

إن القارئ لهذه الفصول لابد وأن يقول لنفسه، إنها تعد بحراً على بحر، محيطاً على محيط، إنها لا تصدر إلا عن عبقرية فذة من النادر أن نجد لها مثيلاً. إن زكى نجيب يتحدث عن رحلته الفكرية الشاقة والمليئة بالأشواك والصخور، يتحدث عن كتبه وأفكارها الرئيسة، حديثاً غاية فى الدقة والسمو والشموخ. إن كلماته من خلال هذه الفصول التى أشرنا إليها لا تصدر إلا عن مفكر ملك زمام الثقافتين الشرقية والغربية. إنه يتحدث فى ثقة ويقين وواثق الخطوة يمشى ملكاً.

وهذه الخصائص نجدها أيضاً فى الفصول الأخيرة من كتابه تحت عنوان " نهاية الطريق " (من ص ٣٨٦ – حتنى ص ٤٢٥). وأقول بأنه من الضرورى دراسة هذه الفصول دراسة واعية فاحصة ودقيقة. ويقينى أننا إذا حللنا هذه الفصول فإننا سنعرف تماماً مقدار البعد بين ما نزعمه من ثقافة فى الوطن العربى، والثقافة الرائدة فى العالم الأوروبى. سندرك تمام الإدراك أن أكثر من يطلقون على أنفسهم، ويطلق عليهم الناس لفظ " المثقف" ، إنما لا يعبرون فى كتاباتهم إلا عن الجهل والتخلف، ولكن ماذا نفعل أمام أبواب الدعاية والشهرة والطبل الأجوف.

إن زكى نجيب محمود من خلال صفحات كتابه، يعطينا الحلول لأكثر مشكلاتنا الفكرية والاجتماعية والسياسية، يدلنا على الرأى الصائب الذى نهتدى من خلاله إلى تحديد أوجه العلاج، والكشف عن أوجه القصور. يخوض فى العديد من القضايا بقلمه الجبار، وصوته الهادئ ومن بين هذه القضايا قضية الغزو الثقافى، قضية التقدم العلمى والأخلاقى، وغيرها من قضايا نجد حولها الكثير من الجدل حتى أيامنا هذه. يفرق بين المعرفة فى المجتمعات الديمقراطية، والمعرفة فى المجتمعات الديكتاتورية بين معرفة النور، وجهل الظلام.

ويختم رائدنا الذى احتل مكانة بارزة فى التاريخ الفكرى التنويرى، كتابه الرائع بعبارة إذا وقفنا عندها استطعنا التعرف على الأساليب الملتوية والتى من خلالها يحاول أشباه المثقفين، التأكيد للجمهور بأنهم من المثقفين، وذلك على الرغم من عدم وجود صلة بينهم وبين الثقافة من قريب أو من بعيد.

يقول زكى نجيب محمود (ص ٤٢٤ – ٤٢٥): ولا يقتصر فساد الموازين نتيجة لافتقار الجمهور إلى معلومات يستنير بها، على مجال

الحكم والسياسة، بل إن الضرر ليتسع حتى يكاد يشمل الحياة العلمية والثقافية بأسرها. فعندنا وعند أمثالنا ممن ضحلت معلوماتهم الصحيحة فقل وعيهم بنفس المقدار، تكثر عملقة الأقزام، إذ ليس على القزم الطموح برغم جهله وقصوره إلا أن يستخدم وسائل الإعلام لصالحه فما أسرع ما يتحول فى خيال الجماهير وفى وهم الحاكمين إلى عملاق حتى يستطيع أن يكون عالماً بغير علمٍ، أديباً بلا أدب، أى شئ بغير شئ وتتصل بعملقة الأقزام عملية أخرى قد تستوجبها الظروف فيلجأ إليها القزم الطموح، وهى عملية يجوز تسميتها كما أسماها صاحبنا ذات يوم فيما كتب، " قرصنة فى بحر الثقافة " فالقراصنة يخطفون أموال ضحاياهم وبضائعهم لتصبح ملكاً لهم ، وكذلك يفعل قراصنة الثقافة فى حياتنا.

فليس المهم عند أحدهم أن يقوم هو بالعمل، بل المهم هو أن يضع عليه اسمه اغتصاباً ولو كان فى حياتنا وعى نقدى لأتاحوا للرأى العام أن يميز الطيب من الخبيث. همومنا الحضارية والثقافية كثيرة وكذلك منجزاتنا وأمجادنا كثيرة، فكيف السبيل إلى جمع عناصر القوة فى كياننا

ورؤانا، مع التخلص من عوامل الضعف فى ذلك الكيان وهـذه الـرؤى لينشا لنا العربى العصرى الجديد؟ هذا هو السؤال الذى حاول طوال حياته الفكرية أن يجد له الجواب.

هكذا يختم مفكرنا العملاق كتابه الرائد " حـصاد الـسنين " ولا يخالجنى أدنى شك فى أن هذه العبارة الأخيرة التى ختم بها كتابه العظيم تضع النقاط على الحروف، تكشف لنا عن أسباب انتشار أشباه المثقفـين فى مجتمعنا العربى. ولكن ماذا نفعل حين نجـد لـدينا محـاكم للغـش التجارى، ولا نجد أمامنا محاكم للتزوير أو الغش الفكرى.

إن غياب الحركة النقدية الدقيقة. قد ساعد انتشار هؤلاء الأشـباه. إنك تحسبهم من المثقفين وهم غير مثقفين. إنهم أشباه مثقفين. إنهم كائنات ناقصة مشوهة.

أقول وأكرر القول إن هذا الكتاب، كتاب حصاد السنين يصلح أن يكون دستوراً لنا فى حياتنا الفكرية. يعد مثالاً للسيرة الذاتية الفكرية ومـا ينبغى أن تكون عليه تلك السيرة... يعد قمة فى سمو الأسلوب، يعرض لنا من خلاله حياته الفكرية وما أعظمها وما أروعها ولم يستند زكى نجيـب محمود إلى شهرة منصب أو إلى بريق إعلامى. بل إنه فعل بنفسه ودون منصب، ما أدى به إلى أن يكون: زكى نجيب محمود.

بعض مراجع الكتاب:

بالإضافة إلى كتب زكى نجيب محمود ومقالاته والمشار إليها فى الكتاب، يمكن الرجوع إلى ما كتبناه عنه فى العديد من كتبنا ومن بينها.

١- العقل والتنوير فى الفكر العربى المعاصر.

٢- ثورة العقل فى الفلسفة العربية.

٣- البحث عن المعقول فى الثقافة العربية.

٤- ثورة النقد فى عالم الأدب والفلسفة والسياسة.

٥- زكى نجيب محمود. مفكراً عربياً ورائداً للاتجاه العلمى التنويرى – مجلد تذكارى – إشراف وتصدير: عاطف العراقى.

بالإضافة إلى ما كتبناه عنه فى الكتاب التذكارى الذى صدر عنه بجامعة الكويت، والكتاب التذكارى الذى صدر عن المجلس الأعلى للثقافة بمصر.

هذا كله بالإضافة إلى مئات المقالات التى كتبناها عنه وعن فكره بالعديد من الدوريات والمجلات والصحف داخل مصر وخارجها من دول العالم العربى والعالم الأوربى، ومن بين تلك المجلات والصحف، مجلـــة

عالم الكتب، ومجلة أون، ومجلة الديمقراطية، ومجلة المنتدى، وجريدة الأهرام الدولية، وجريدة الأهرام بمصر، ومجلة الأزمنة بفرنسا.

كما توجد نصوص للعديد من المحاضرات التى ألقيناها عنه بالمنصورة ودمياط والقاهرة والإسكندرية وأسيزى بإيطاليا ، وصقلية، والفاتيكان... الخ.

ويمكن الرجوع أيضاً إلى بعض الرسائل الجامعية عن مفكرنا، ومن بينها:

أثر الاتجاه التحليلى فى فكر زكى نجيب محمود للدكتورة نوران الجزيرى، والتوفيق بين الثقافتين العربية والإسلامية والغربية فى فكر زكى نجيب محمود للباحثة فوزية عيد موسى مرجى، والمصطلحات الفلسفية عند زكى نجيب محمود للباحث كورين حنة، والمفارقات المنهجية فى فكر زكى نجيب محمود للباحث أسامة الموسى، وتأثير الوضعية المنطقية على الفكر العربى الحديث من خلال زكى نجيب محمود الدكتورة نجوى حمادة، والجوانب الأدبية فى كتابات زكى نجيب محمود

للدكتورة نجوى عمر، والاتجاه النقدى فى فكر زكـــى نجيـــب محمـــود، للدكتور علاء والى، والعقل ووظيفته فى فكر زكى نجيب محمود للباحثة فوزية عيد موسى مرجى.

وهذه الرسائل كان بعضها تحت إشرافنا والرسائل الأخرى تمت مناقشتها داخل بلدان العالم العربى، والعالم الأوربى.

شهادات وخطابات وذكريات
بين
زكى نجيب محمود وعاطف العراقى

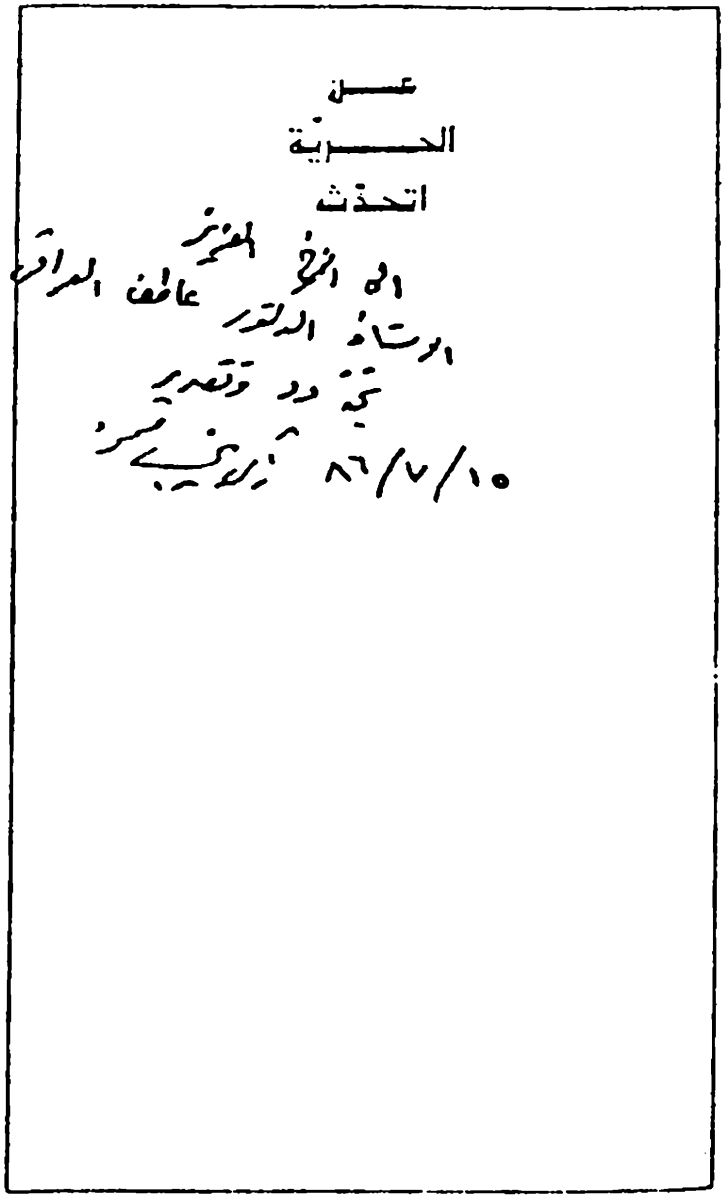
عن
الحرية
اتحدث
الى الاخ العزيز
عاطف العراقي
الاستاذ الدكتور
تحية ود وتقدير
١٥/٧/٨٦

جامعة المنصورة
كلية التربية بدمياط
المؤتمر العلمي السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة تقدير

السيد الدكتور عاطف العراقي

تتقدم لكم بكل الشكر والتقدير والعرفان بالجميل على المجهودات الخلصة والاتجاهات الإيجابية لإسهامكم في مؤتمر زكي نجيب محمود والكلية اذ تذكر لكم كريم جهدكم وفضل تشريفكم تتمنى لكم دوام التقدم والتوفيق .

والله لما فيه الخير ،،

مع تحياتي ،

عميد الكلية ورئيس المؤتمر
أ.د. محمد أبو الفتوح شريف

جامعة المنصورة
كلية التربية ببورسعيد

شهادة تقدير

إن جامعة المنصورة وهي تحتفل بإقامة المؤتمر الثاني

لكلية التربية ببورسعيد ضمن برنامج مهرجان

أعمال المؤتمر

دمياط

١ - ٣ أبريل ١٩٨٦ م

تمنح هذه الشهادة للسيد الأستاذ الدكتور

زكي نجيب محمود

ضيف المؤتمر

تقديراً لمهام الدور السيادة الرائد ومكانته العلمية والفكرية

١٩٨٦/٤/١

عميد الكلية
أ.د/ محمد أبو الفتوح رزيق

رئيس الجامعة
أ.د/ كمال البربري كامل الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة تقدير

المؤتمر الأول لنقابة الفنانين التشكيليين فى ٧ فبراير ١٩٨٩

قرر مجلس النقابة منح شهادة تقدير

إلى السيد الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود

تقديرًا واعترافًا لجهود سيادته فى دعم وتشجيع الحركة الفنية

وتنمية التذوق والقيم الجمالية فى المجتمع .

٩ فبراير ١٩٨٩

نقيب التشكيليين

اتحاد كتاب وادباء الامارات
جائزة سلطان العويس الثقافية

تقدير للجهود في خدمة الثقافة العربية ، وتثمينا
لعطاء الكبار من أدباء ومفكري الأمة العربية ممن
أغنوا المكتبة الأدبية والعلمية والفكرية والثقافية
فازت بجائزة سلطان العويس الثقافية لهذا العام
الدكتور زكي نجيب محمود

وذلك لفوزه في مجال الدراسات الانسانية والمستقبلية
بجائزة سلطان العويس الثقافية للعام ١٩٩٠ - ١٩٩١
بناء على قرار لجنة التحكيم المنعقدة في ١٣ / ١٢ / ١٩٩١

عبدالغفار حسين

في الثالث والعشرين من شعبان ١٤١٢ الموافق السادس والعشرين من شباط ١٩٩٢

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب

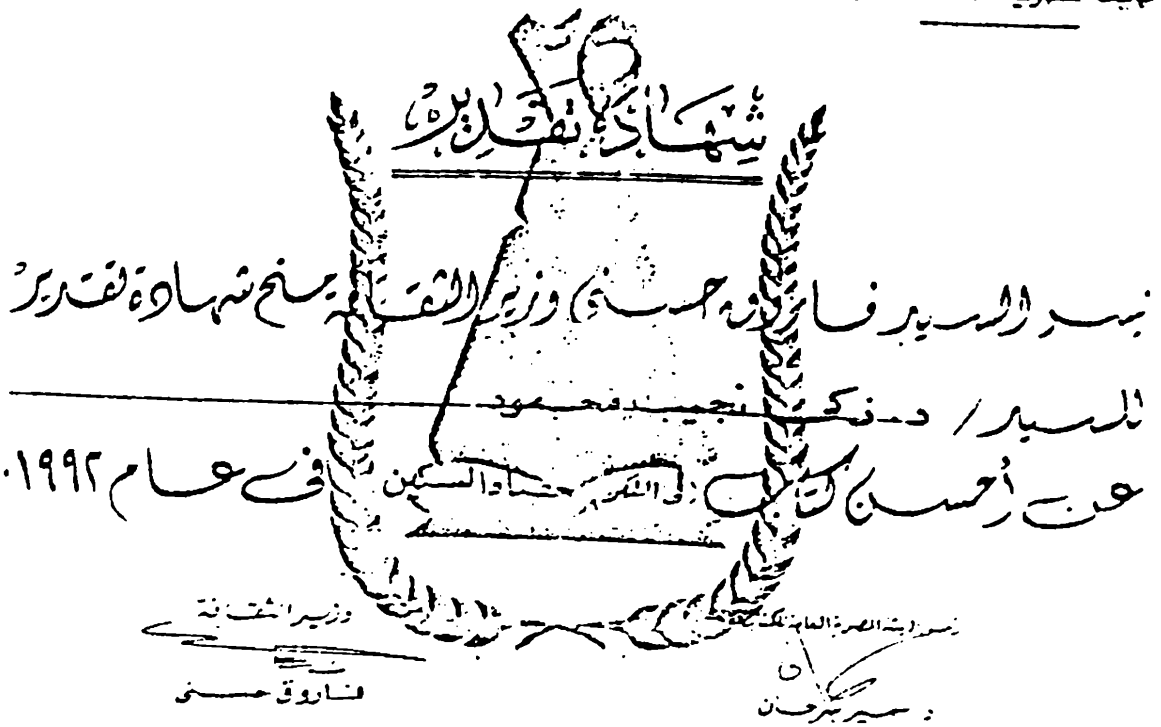

إصـــدارات الصالـــون

- **سلسلة كتاب الصالون**
- هؤلاء المبدعون بين التكريم والبحث العلمى فـــى صـــالون أ.د. غازى زين عـــوض الله – الطبعـــة الأولـــى ٢٠٠٢م – الهيئـــة المصرية العامة للكتاب.
- ليالى الفكر العربى : إبداع وأبحاث وشهادات الرواد فى صالون أ.د. غازى زين عوض الله – الطبعة الأولى – ٢٠٠٣م – الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الكلمة وترسيخ الهوية فى صالون أ.د. غازى زين عوض الله – الطبعة الأولى – ٢٠٠٤م – الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- هؤلاء قالوا كلماتهم فى صالون أ.د. غازى زيـــن عـــوض الله – الطبعة الأولى – ٢٠٠٥م – دار هارمونى للطباعـــة والنـــشر – القاهرة .

- مدار الأفكار فى صالون أ.د. غازى زين عوض الله – الطبعة الأولى – ٢٠٠٦م – دار الهانى للطباعة والنشر – القاهرة.
- روضة النبلاء فى صالون أ.د. غازى زين عوض الله – الطبعة الأولى – ٢٠٠٦م – دار الهانى للطباعة والنشر – القاهرة.
- واحة العباقرة فى صالون د. غازى زين عوض الله – الطبعة الأولى – ٢٠٠٧م – دار الهانى للطباعة والنشر – القاهرة.

– سلسلة المبدعين العرب:

- النجم فى مدار العشق – كيف نتذوق شعر فاروق جويدة ؟– الطبعة الأولى – ٢٠٠٦م– مطبعة العمرانية – الجيزة.
- سمير سرحان – أمير فى مملكة الثقافة – عدد تذكارى – الطبعة الأولى – ٢٠٠٦م – دار الهانى للطباعة والنشر – القاهرة.
- جمال بدوى – الوجه الجمالى للشخصية العربية – الطبعة الأولى – ٢٠٠٧م – دار الهانى للطباعة والنشر – القاهرة.
- النجيب .. محفوظ فى القلب– عدد تذكارى – الطبعة الأولى – ٢٠٠٧م – دار الهانى للطباعة والنشر – القاهرة.

- هارون هاشم رشيد .. شاعر الغرباء .. بورتريه للوطن وأبجدية للهوية – الطبعة الأولى – ٢٠٠٧م – دار الهانى للطباعة والنشر – القاهرة.
- الفنان صلاح طاهر .. ألوان فى فضاء الجمال – الطبعة الأولى –٢٠٠٧م – دار الهانى للطباعة والنشر – القاهرة.
- رائد التنوير زكى نجيب محمود : ذكرياتى الفلسفية والأدبية مع المفكر والإنسان- الطبعة الأولى – ٢٠٠٧م – دار الهانى للطباعة والنشر – القاهرة.
- **سلسلة كتاب المواهب :**
- لا تدخل هذه القلعة – ديوان شعر – الطبعة الأولى – ٢٠٠٦م – دار الهانى للطباعة والنشر – القاهرة.
- Drops of Rain – Poetic Reflection Sarah Abu Zeid

سلسلة ترجمة الأدب العربى :

صدر منها بالفرنسية كتاب :

Arabesque Novelles Arabes

وصدر منها بالانجليزية:

THE CONTEMPORARY
ARABIC SHORT FICTION

- سلسلة المذكرات :

- الحب والحرب بين الذكرى والذاكرة .. شهادة أسير خلال ثـورة التحرير مذكرات المناضل عبد القادر حجار.. الطبعـة الأولـى ٢٠٠٧م- دار الهانى للطباعة والنشر- القاهرة.

فهرست الكتاب

الموضوع	الصفحة
- الإهداء	٣
- شكر وتقدير.....	٥
- على سبيل التقديم.. د. غازى زين عوض الله.	٧
- تصدير عام	٩
الفصل الأول :زكى نجيب محمـــود... الإنـــسان كمـــا عرفته.....	٢٢-٥٠
الفصل الثانى :صفحات من حياته الفكرية ونماذج مـــن بعض آرائه التنويرية	٥١-٩١
الفصل الثالث: نماذج من أفكار الرجل من خلال بعض مؤلفاته.....	
- **عربى بين ثقافتين**	٩٢
- **بذور وجذور**	١١١
- **حصاد السنين**	١٣٢
بعض مراجع الكتاب	١٥٩
- شهادات وخطابات وذكريات بين زكى نجيب محمـــود وعاطف العراقى.....	١٦٢
- إصدارات الصالون	١٦٩
- فهرست الكتاب.....	١٧٣

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET